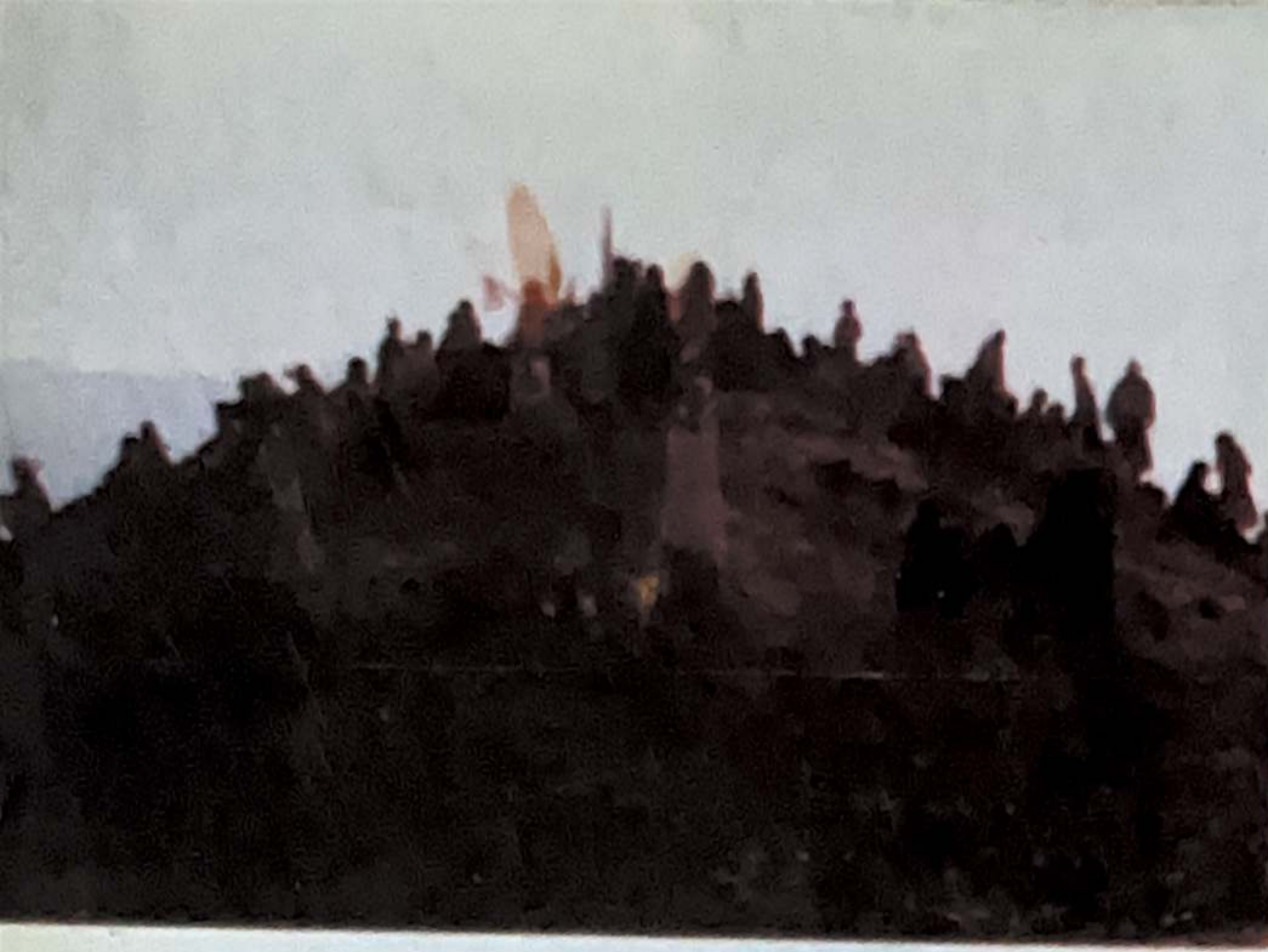
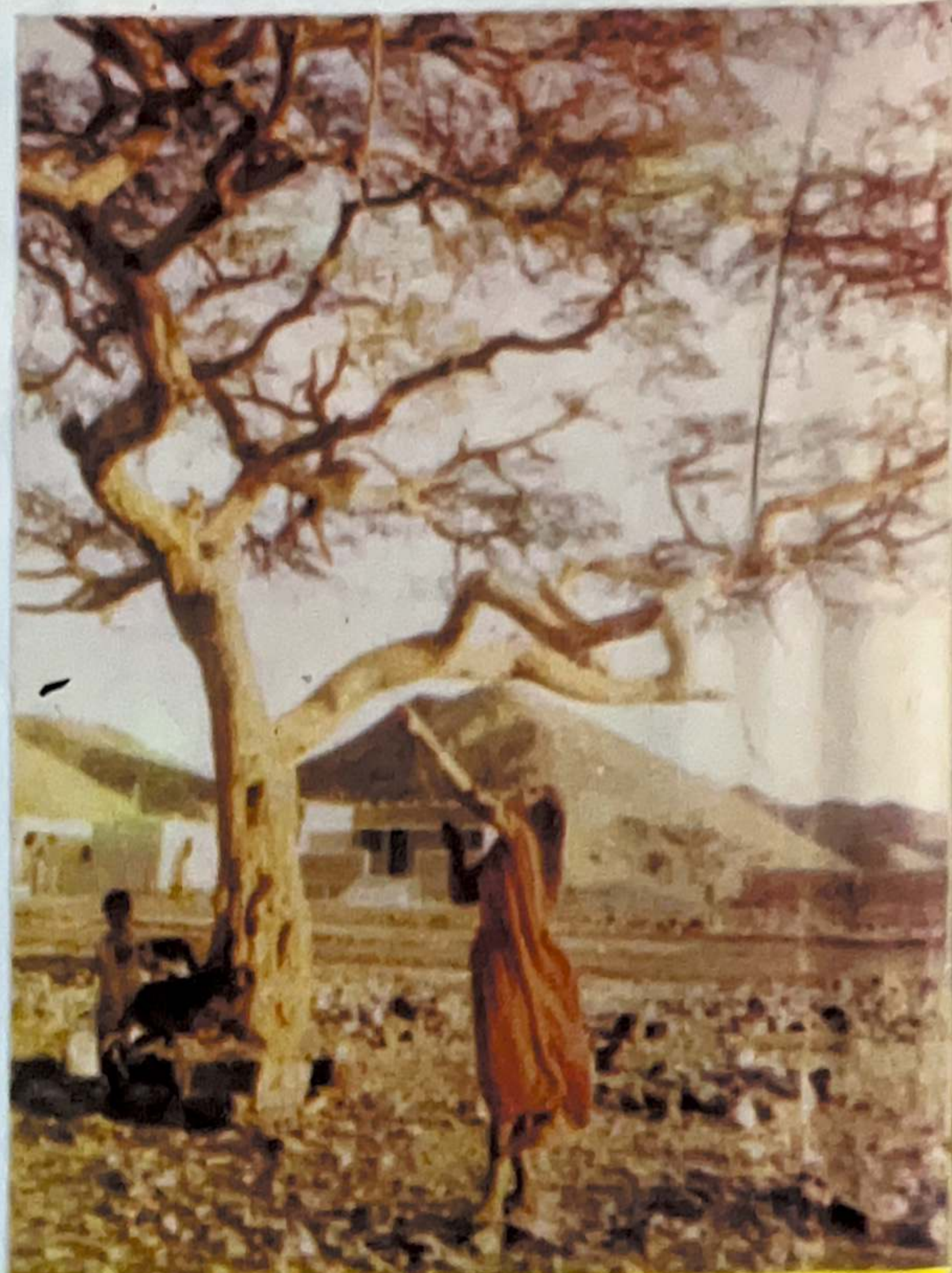


دريه

أسرار الحياة فى جبال البحر الأحمر

دراسة أنثروبولوجية فى الصحراء الشرقية

تأليف : د. نادية بدوى

تقديم : أ. د. أحمد أبو زيد



الهيئة المصرية العامة للكتاب

.. أسرار الحياة
فى جبال البحر الأحمر

دراسة أنثروبولوجية في الصحراء الشرقية

د . نادية بدوى

تقديم :ـ أ . د. أحمد أبو زيد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٤

الأخراج الفنى : محمد المحجوب

إهـــداء

إلـــى

سيدى أبى الحسن الشاذلى

رائد التصوف الإسلامى

حباً وسيراً على الدرب

نادية بدوى

تقديم الكتاب

تعتبر الانثروبولوجيا الجمالية إضافة جديدة إلى الفروع التقليدية التى تنقسم اليها الانثروبولوجيا ذاتها ، اى ان موضوعها كان معروفا منذ منتصف القرن الماضى ، بل ان أميل دور كايم فى تصنيفه لفروع علم الاجتماع تحت ما يعرف باسم الفسيولوجيا الاجتماعية خصص فرعا قائما بذاته لعلم الاجتماع الجمالى .

ولكن الجديد فى الانثروبولوجيا الجمالية هو طريقة دراسة ذلك الموضوع القديم ، فقد كان الانثروبولوجيون القدماء والذين كانوا فى حقيقة الامر أثنوجرافيين يقصرون جهودهم على جمع اكبر قدر من المعلومات الأثنوجرافيه عن المنجزات الفنية وأشكالها التشكيليه والتعبيريه ويكتفون برصدها وتسجيلها ووصفها دون محاولة لتحليلها فى ضوء نظرية إجتماعية أو أنثروبولوجية محددة . ولم تكن تتعمق وراء المظاهر الخارجية الملموسة للظاهرة الفنية ، وهذا ما نجده فى كتابات فرانز بواس وهو يعتبر من أكبر علماء الانثروبولوجيا الامريكيه الذين أولوا اهتماما كبيراً بالفن البدائى .

وهذا ينطبق أيضا على الاركيولوجيون الذى اهتموا بأنسان ماقبل التاريخ وأبداعاته الفنية التى تتمثل فى كثير من الرسوم المنقوشة على جدران الكهوف والتى تعكس جانبا كبيرا من ملامح حياتهم اليوميه .

وحتى حينما حاول بعض الكتاب تفسير تلك الابداعات الفنيه ، جاءت تفسيراتهم سطحيه وساذجه نظراً لتأثرهم ببعض النظريات التى كانت تسود فى ذلك الحين وبخاصة عن الدين والسحر ، وأغلبها تأثر بأراء سير جيمس فريزر عن السحر الاتصالى وسحر المحاكاه .

فكانوا يعتبرون ان تلك النقوش هى تعبير عن رغبات الانسان الاول وان مجرد التعبير من شأنه تحقيق تلك الرغبات فى الواقع .

وعلى هذا فإن كل النقوش التى صورها الانسان الذى يعيش على الصيد والقنص كانت تمثل المطارده بين الانسان والحيوان ، والنجاح الذى يحققه الانسان فى رسوماته من الانتصار على الحيوان ، سيدفعه لتحقيق هذا النجاح فى الواقع .

ولكن ظهور الانثروبولوجيا الجماليه كفرع متخصص من فروع الانثروبولوجيا كان نقله جاده من الوضع القديم الذى كان يقوم على مجرد الوصف الى تفسير الابداع الفنى فى ضوء نظريه انثروبولوجيه متكامله .

وقد أبلى علماء الانثروبولوجيا البنائية فى ذلك بلاء حسناً ، حيث كانوا يفسرون تلك الأعمال الفنية بالاشارة الى بقية الانساق السائدة فى المجتمع والتأثيرات المتبادلة بين النسق الجمالى والفنى وبين بقية الانساق الاخرى التى تؤلف البناء الاجتماعى .

وهذا ما فعله أيفانز بريتشارد فى مقالاته عن الرقص ووظيفته الاجتماعية . وريموند فيرث فى كتاباته عن المعنى الاجتماعى للفن ، وأيضا ويليام فاج فى دراساته عن الاقنعه والتماثيل الافريقية . ولا ننسى دور مارسيل جريول الفرنسى ودراسته عن الاقنعه فى غرب افريقيا .

وهناك من العلماء مثل عالم الانثروبولوجيا كلود ليفى ستروس الذى حاول التغلغل الى ما وراء الانتاج الفنى المحسوس للبحث عن أنماط الفكر الكامنه وراءه وهذا ما تبدى لنا فى كتاباته عن الاقنعه وتحليلاته للاساطير والنظام الطوطمى وما يرتبط بها من إنتاج فنى ورسوم ووشم وتماثيل .

وهذه الجهود المشتركه هى التى نقلت الدراسات القديمة للفنون من المستوى الاثنوجرافى الوصفى الى المجال الانثروبولوجى الاكثر عمقاً .

وقد أزدهرت الانثروبولوجيا الجمالية فى السنوات الاخيره فى الخارج وكان لابد من ان ينتقل ذلك الاهتمام الى مصر ، ومن ان نجد بعض شباب الانثروبولوجيون يعطون لهذا الفرع من الاهتمام مالم يعطه له الرواد الذين كرسوا كل أهتمامهم لدراسه الموضوعات التقليديه : مثل البناء الاجتماعى أو أحد أنساقه .

وقد بدأ أخيراً ان هناك اهتماماً بتحليل مختلف جوانب الابداع الفنى فى مصر بأسلوب يتعدى ويتخطى الاساليب التى يتبعها المتخصصون فى التراث الشعبى والذين كانوا قد أعتبروا منجزات الابداع الفنى مجالا من أخصب المجالات لدراساتهم .

وصحيح ان الدراسات التى بأيدينا عن الانثروبولوجيا الجماليه فى مصر لاتزال قليله ولم تكد تخرج عن نطاق بعض المقالات وعدد قليل من الرسائل الجامعية ، الا أنها كلها تكشف عن هذا الاتجاه الجديد والجدير بالترحيب .

ولذا فإن حين طلبت الىّ مؤلفه هذا الكتاب ناديه بدوى أن أقدم هذا العمل الطيب الى القارىء المصرى والعربى لم أتردد لحظه فى الاستجابه للطلب ، خاصه وأنه قد سبق لى قراءه أصل الكتاب وهو فى صوره رسالة عليه قبل ان تفكر فى نشره وعرفت مدى أهتمامها وجديتها ومثابرتها ليس فقط فى تتبع موضوع الدراسه ، وإنما أيضا فى جمع المعلومات الاثنوجرافيه من المجتمع المحلى الذى عُنيت بالاقامه فيه ودراسته عن كسب متبعه فى ذلك أساليب الانثروبولوجيا التقليديه .

وانا أركز هنا على كلمة تقليديه نظراً لان هذه الاساليب كانت تفرض على الباحث دائما الاقامه الطويله فى مجتمع البحث ، وكان علماء الانثروبولوجيا القدماء يفرضون على أنفسهم وعلى تلاميذهم الاقامة سنة كاملة فى مجتمع البحث حتى يتاح لهم التعرف على كل جوانب الحياه الاجتماعيه على مدار السنة وتحليل الماده الاتنوجرافيه التى جمعوها حول موضوع تخصصهم فى ضوء هذه المعرفه الشامله بالحياه العامه للمجتمع .

ومما يؤسف له ان الكثير من الباحثون الانثروبولوجيون الان لم يعودوا يهتمون بشرط فترة الاقامة الطويلة فى مجتمع الدراسه ولذا تجىء دراساتهم على

درجه كبيره من السطحيه والتسرع .

وهذا هـو مـا أفلحت ناديه بدوى فى التغلب عليـه والتحرر منه نتيجه لاهتمامها بالاقامة لمده طويله فى مجتمع العبابده وهى فترة كانت كافيه لخلق مايعرف باسم العلاقه الحميمه بين الباحثه والبدو مما وفر لها فـهماً عميقاً ودقيقاً لاساليب الحياه وانعكاس ذلك على نواحى النشاط الفنى التى أهتمت بها .

والكتاب بصورته الحاليه يتميز عن كثير من الكتابات الانثروبولوجيه التى بدات تظهر فى مصر والعالم العربى بميزتين أساسيتين :ـ

الميزة الاولى وهى البحث الميدانى المتعمق والكثيف ، والميزه الثانيه هى تركيزها على موضوع جديد ومحدد ضمن دراسه مجتمع يكاد يكون بكرا وهو مجتمع العبابده والبشارية والـذين لم تتم دراستهم حتى الان دراسه انثـروبولـوجيه متعمقه بمعنى الكلمة ، وإن كان هناك بلاشك بعض المقالات المتفرقه التى لم تغفل الباحثه الاشاره اليها والاستعانه بها .

وهاتان الميزتان تفتحان أمام الباحثين الانثروبولوجيين الجادين أبواباًجديدة يجب أرتيادهاسواء فيما يتعلق بالموضوعات غير التقليديه التى ينبغى الاهتمام بها أو فيما يتعلق بالمجتمعات النائيه التى لم تدرس من قبل والتى تحتاج من الباحث الانثروبولوجى ليس فقط القدره على تحمل المشاق والصعوبات التى لا يعرفها إلا الانثروبولوجى الجاد ولكن تحتاج أيضا إلى أن ينظر إلى الانثروبولوجيا كفرع للتخصص وكمهنه وكهوايـه فى الوقت ذاتـه وهذا هـو ما تحقق لمؤلفـه هذا الكتاب ، وهو يجعلنا نرحب بهذا الكتاب كأسهاماً جديداً ، وأضافه طيبه إلى المكتبه الانثروبولوجيه فى مصر والعالم العربى .

ا . د . أحمد أبو زيد .

١ ـ مقدمة

الإنسان الأول قهرته الطبيعة ، فهو لا يعرف كيف يتعامل معها كيف يستغلها ويستغل مواردها حتى يعيش ، وما لبث أن تحركت إرادته وسيطر على أرضها وحيوانتها وأوجد لنفسه مصدراً لقوته ومع كل يوم يحقق الإنسان نصراً وتزيد قدرته فى التحكم والسيطرة على الطبيعة بكل ظواهرها . وهكذا صنع الإنسـان الحضارة وتقـدمت الحضارات واتصلت ببعضهـا لتسير فى مـوكب التقدم .

وسار الزمان قدماً ونسى فى حركته أن يصحب معه بعض البشر الذين انـزوا بعيداً فى جيـوب الـزمـان . . . بعيـداً ظلوا مبقـين عـلى حضـاراتهم القـديمة . . عـلى أسلوب معيشتهم . . على معتقـداتهم . . على وسـائلهم البسيطة لاستغلال موارد الطبيعة .

والبدو الرعاه الذين يعتمدون فى حياتهم على رعى الأغنام والإبل ، أبرز مثل على تلك الشعوب ، فعلى الرغم من أن مرحلة الرعى مرحلة متأخرة من ناحية الأنظمة الإقتصادية ، إلا أنها لازالت موجوده ، وفى وجـودها يـوجد مجتمع كل أنظمته الاجتماعية تقوم على هذا الأساس الإقتصادى .

والعبابدة والبشارية شعوب رعوية عاشت من قديم الزمان فى الصحراء الشرقية يرتحلون وراء الماء والكلأ ، وتحرك الزمان وتقدمت الحضارة فى وادى النيل ، وظلوا هم مبقين على حياتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

وعلماء الانثربولوجيا يقفوا ، كثيرفا عند تلك الشعوب لدراستهم وتحليل انظمتهم الاجتماعيه وذلك لتحقيق هدفين أولهما محاولة رسم صورة لحياة الإنسان الأول وثانيهما الوصول إلى الثقافات التى تجمع تلك الشعوب وصورة تطورها . والهدف النهائى والعام هو خدمة المجتمع البشرى ، ولن يتم ذلك إلا بمعرفتنا بتلك الشعوب حتى ننشد لها التقدم الفكرى والتكنولوجى لتسرع فى مواكبة الشعوب المتقدمة .

من أجل ذلك قررت دراسة قبيلة البجة والتى تضم قبائل « العبابدة ـ البشارية ـ الهدندوه » وذلك على جزئين ففى الجزء الأول تناولت قبيلة العبابدة بالدراسة والبحث ونلت على هذا البحث درجة الماجستير ، والآن أعد الجزء الثانى من الدراسة عن بقية القبائل لنيل درجة الدكتوراه فى الانثروبولوجيا الجمالية .

ولما كانت المراجع والدراسات عن تلك القبائل نادرة وخاصة من جانب الدراسات المصرية ، فكل ما كتب عنهم كان بأيدى أجنبية ويرجع إلى زمن الاحتلال الأجنبى لمصر والسودان . فقد حتمت الضرورة الدراسة الميدانية لتلك القبائل والنزول إلى الصحراء الشرقية موطنهم فى مصر والسودان والعيش فيها مع البدو ليتسنى لى ملاحظتهم والكتابة عنهم . وخاصة وأننى أركز فى بحثى على الجمال والفن عند تلك القبائل ، وهذا الموضوع جديد ولا توجد فيه دراسات سابقة .

سوف ألقى الضوء من خلال صفحات هذا الكتاب على رحلتى داخل الصحراء وعلى سكان الصحراء : من أين جاءوا وأصلهم التاريخى وصفاتهم الفيزيقية ومعيشتهم وعاداتهم وتقاليدهم فى الحياة الاجتماعية ، وأبدأ ذلك بقصيدة شعرية كتبها محارب انجليزى يصف فيها شعب البجة « العبابدة والبشارية » ويمجد شجاعتهم وتفوقهم الحربى على الجيش الانجليزى وأيضاً أعرض على صفحات هذا الكتاب لفنونهم وأخيراً سيرة الشيخ أبى الحسن

الشاذلى والسيدة زكية عبد المطلب بدوى لاعتبارين أولهما أن لهما مكانتهم الدينية بين المتصوفين وثانيهما وجود مقامهما فى صحراء عيذاب موطن بدو العبابده ومما لا شك فيه أن وجودهما هناك له أكبر الأثر فى تحضر البدو .

نادية بدوى

٢ ـ قصيدة للشاعر الانجليزى « ريدارد كبليج »
فى تمجيد ووصف الرجل البجاوى .

لقد التحمنا فى معارك كثيرة عبر البحار
وكان بعضهم شجاعاً وبعض لم يكن
البانتو والزولو والازاندى
بيد أن البجاوى كان أروعهم
كان يلعب بقواتنا كما يلعب القط بالفأر
لهذا فأننى أقدم لك أيها البجاوى فى وطنك . . . هذا الاهداء

أنك وأن كنت جاهلا . . ولكنك محارب من الطراز الأول
فحين نقدم لك شهادة . . . فهى ممهوره
فقد أخذنا فرصتنا بين تلال البوير
وأبن الشيطان الزولو نافسنا فى الطريق
ولكن كل ما لقيناه من هؤلاء كان قطرة
من بحر المرّ الذى جعلنا البجاوى نتجرعه

كانت لدينا الأوامر لتحطيمك وفعلاً ذهبنا لإنجاز ذلك
فأجهزنا عليك ببنادق المارتينى ولم يكن هذا من العدل
وبالرغم من الظروف القاسية التى كانت ضدك أيها البجاوى
فأنك حطمت المربع البريطانى .

أنه يهجم على الدخان عندما نتوقف عن التقدم
وقبل أن نعرف الموقف نجده أعمل سيفه فى صدورنا
أنه الرمال المحرقة . . . والزنجبيل الحار عندما
يكون حياً . . . ويكون مرعباً عندما يكون ميتاً .
أنه زهرة الديزى . . . أنه جمل . . . أنه جوهرة
أنه قطعة المطاط والمهووس بالانطلاق . . . أنه
الشيء الذى لا يعطى مثقال ذرة من الاهتمام لفرقة
المشاة البريطانية .
لذلك . . . إليك أهدى . . إليك . . هذه القصيدة . . . إليك
أيها البجاوى . . . برأسك ذى الشعر المدبب . . . أيها
الأسود اللعين . . . لأنك أنت الذى حطمت المربع البريطانى .



٣ ـ رحلتى داخل الصحراء .

بدأت رحلتى فى البحث عن العبابده والبشاريه من أسوان ، فسكنت بيت شباب أسوان الدولى ومنه انطلقت إلى محافظة أسوان أسأل المسئولين عن تلك القبائل ، فقد كانت معلوماتى أنهم يعيشون فى قـرى « سيالـه ، ادندان ، كروسكو » وتلك القرى قد غرقت تماماً بعد بناء السد العالى ، فأين ذهبوا بعد أن رحل النوبيون الذين كانوا يسكنون تلك القرى وكان يجاورهم العبـابده والبشارية .

وأمسكت بخيوط الموضوع من قصر ثقافة أسوان فساعدنى مدير مديرية الثقافة والعاملين به وعرفت أن هناك العبابدة الفلاحين والذين يسكنون قرى « الفوزه ـ العدوه ـ البحيره » وهى تابعه لمدينة آدفو والتى تبعد عن أسوان بنحو مائة كيلو متر ، وهناك حى البشارية بأسوان ، والتقيت بالبشـارية فى أسوان ولكنهم أصبحوا أسوانيين وانتفت عنهم عادات وتقاليد البشارية .

وانتقلت من أسوان إلى ادفو وقـابلت شيخ العبـابدة فى قـرية البحيره وبالفلاحين منهم فى القرى المجاورة واستغرق هذا منى أكثر من شهرين كنت أنتقل يومياً من أسوان لأمضى طول النهار بتلك القرى وأعود إلى أسوان حيث مكان إقامتى ، ووجدت أنه من الصعوبة تطبيق بحثى على هذا الفريق من العبـابده والبشـارية حيث أنهم انـدمجوا مـع سكـان وادى النيـل وتقلدوا بتقاليدهم ، ولم يعد هناك ما يميزهم عن الصعايده من أبناء وجه قبلى .

ولما كانت فروض بحثى تبحث فى علاقة الزينه والجمال والفن بالدين والسحر وهذا لا يظهر جلياً إلا فى مجتمع بدائى بسيط .

ولهذا فقد قررت تطبيق دراستى على العبابـده والبشاريـه البدو الـذين يعيشون داخل الصحراء الشرقية كبدو رحل . . . ولكن كيف ؟ ؟ ؟

كيف أنتقل داخل الصحراء ؟ كيف أعيش ؟ كيف أتنقل بين دروبها ؟ كيف أعيش مـع البدو ؟ كيف اتحدث معهم ومعظمهم لا يتحـدث اللغـة العربية ؟ كيف وتلك مسـألة صعبـة تشق على الـرجال ، فتلك الصحـراء لا يرتادها إلا الجيولوجيين ، وهم يذهبون إليها وكل الامكانيات متاحة لهم من سيارات للتنقل وأماكن للإقامة ورعاية المسئولين . . . . فأين أذهب أنا ، وكلما تحدثت إلى أحد وأخبرته برغبتى فى دخول الصحراء أكد لى أن هذا مستحيل إلا إذا توفرت لى الرعاية من جانب هيئة علمية وسيارة أتنقل بها وفريق بحث يرافقنى فى رحلتى ، ودليل أستأجره ليدلنى على دروب الصحراء وأماكن تواجد البدو حيث أنهم لا يعيشون فى تجمعات .

ولكن من أين آتى بالهيئة العلمية التى توفر لى الرعاية ، ومن أين السيارة التى اتحـرك بها داخـل الصحراء ؟ ؟ ؟ فـأنا أقـوم ببحث لأنال عليـه درجة الماجستير وهو خاص بى وليس لصالح هيئة معينة ، وعلى أن اتحمل كل نفقات ومشقات البحث ؟ ؟

ووجدت أمامى اختيارين لا ثالث لهم : الأول هو أن أعود للقاهرة وأغير موضوع البحث أو أن أذهب للصحراء .

ووجدت نفسى تؤثر الثانية على الأولى وتنشد هذا المستحيل الذى أقره كـل الناس والمسئـولين ، وخـاصة وأننى أول بـاحثة مصـرية تنـزل لتعيش بالصحراء وتـدرس سكانها وقـد أهتم الأجانب بـدراسة شعـوب الصحراء الشرقية فى مصر والسودان وآخر ما كتب عنهم هى مشاهدات العالم الانجليزى مورى ١٨٨٢ والتى صدرت عام ١٩٣٥ .

وقررت السفر فى يوم ٢٨ مارس عام ١٩٨٤ وانتقلت من سوان إلى آدفو ، ومن أدفو شرق استقليت سيارة كانت متجهة إلى مرسى علم وتقل بعض الجيولوجيين ، وهناك التقيت بمدير مركز تعدين مرسى علم التابع لهيئة المساحة الجيولجية الذى قدم لى العون ووفر لى مكان للإقامة وعرفنى ببعض العبابده الذين يعملون بمركز التعدين ، وبدأت فى زيارتهم داخل نطاق مرسى علم .

ولكن البدو منتشرين داخل الصحراء وعلى امتداد ٤٠٠ ك . م وحتى آخر حدود مصر مع السودان ، ولابد من النزول إليهم ، وكانت وسيلتى للانتقال إليهم هى أى سيارة على الطريق ، متجهة إلى أى مكان داخل الصحراء وفى أى زمان .

فاليوم فرح لأسرة عبادية فى وادى شواب وأقاربهم بمرسى علم يذهبون إليهم فأنتهز الفرصة وأذهب معهم ، وهؤلاء يذهبون لزيارة مريض بوادى عباد فأخرج معهم وتلك سيارة نقل مياه تذهب للشيخ الشاذلى لتفرغ حمولتها من المياه فأستقلها وأذهب إلى منطقة الشيخ وهناك أستكمل رحلتى سيراً على الأقدام لمسافة ستة ك . م ، وأعلم بالصدفه أن هناك سيارة تنقل الرخام متجهة إلى المناطق الجبلية المواجهة لأبو غصون فأتفق مع السائق ويأخذنى معه وأخرى تنقل الفحم من الشلاتين إلى القصير فأذهب معها للشلاتين ، وتلك سيارة مخابرات حرس الحدود .

وكثيراً ما كنت أركب سيارات التهريب والتى كان خط سيرها داخل الجبال وهذا يتفق وخط سير رحلتى حيث يعيش البدو داخل الجبال ، وصادف أكثر من مره أن يتم القبض على السياره التى كنت أستقلها بعد نزولى منها مباشرة ، وكان هذا من فضل الله ورعايته لأنى لم أكن أعلم بحقيقة تلك السيارات .

ولكن كيف تكون العوده من مناطق الصحراء المختلفة ؟ ؟ ؟

العودة تكون بنفس الطريقه التى أذهب بها ، أستقل أى سياره على الطريق ، لأنه ليس بالضرورة أن أعود بالسيارة التى ذهبت فيها لأن الدراسة تقتضى المكوث بكل منطقة فترة من الزمن والإقامة بها ليتسنى لى معايشة البدو ، وتطول مدة إقامتى بالمنطقة أو تقصر تبعاً لظروف وجود سيارة قادمة أو راحله ، فداخل الجبال تندر وجود السيارات الماره وذلك على عكس من الساحل التى تتوفر حركة السيارات فيه نسبياً .

وأضطرتنى الظروف كثيراً لركوب الإبل وأحياناً أخرى للمشى لمسافات تتعدى العشرين ك . م .

وهكذا كانت رحلتى الأولى للصحراء ولكن رحلاتى التى توالت بعد ذلك كنت أحرص على عدم ركوب سيارات التهريب ، واستأجرت سيارة للتحرك بها فى داخل الجبال .

أما عن مكان إقامتى داخل الصحراء ، فقد كنت أقيم بالاستراحات التى تتوفر بمناطق مرسى علم ، أبو غصون ، الشلاتين ، الشاذلى ، فأقضى طول النهار مع البدو داخل الصحراء القريبة من الساحل ، وأعود فى الليل للمبيت بالاستراحه .

أما فى المناطق الداخلية والتى تبعد كثيراً عن الساحل ولا يتوفر بها أمكان للإقامة فقد كنت أقيم فى خيمة خاصة بى أقيمها إلى جوار البدو .

وأدواتى داخل الصحراء تتلخص فى الخيمة وبعض الأغطية وجرك المياه والطعام بالإضافة إلى جهاز التسجيل والكاميرا وأوراق العمل التى أسجل فيها مادتى العلمية .

وكنت أنصب خيمتى بنفسى وأجلسى إلى جوار البدو يوم أو أكثر دون أن يحدثنى أحد منهم ، فهم لا يقتربون منى ولا يتحدثون إلى لأنهم يخافون الأغراب ولا يألفونهم وهذا أمر فرضته عليهم العزلة الجغرافية داخل الجبال ، ويزيد صعوبة الأمر أننى فتاة فهم يتسائلون فى أنفسهم ما الذى جاء بهذه الفتاة إلى

بلادنا ، وماذا تريد فهم لا يعرفون ماذا يعنى البحث العلمى ولا الجامعة ، ومنهم من لا يعرف عن مصر شيئاً والمنطقة الوحيده التى يعرفونها خارج حدود الصحراء هى مدينة دراو ، لأن بها سوق الإبل حيث ينزلون إليها لبيع منتجاتهم وشراء احتياجتهم .

وأظل أتقرب إليهم حتى يأنسوا إلىّ ويطمئنوا للهدف الذى جئت من أجله فيرحبوا بى ويستضيفونى فى خيامهم وأقضى معهم وقتى كله أشاركهم حياتهم ، فأخرج معهم لرعى الأغنام وجلب الماء من البئر وجمع الحطب ، وأجلس معهم لأعداد الطعام وأتناوله معهم ، وأتسامر معهم فى الليل ونشرب « الجبنة » ، وبعد فترة أجدت إعداد طعامهم وكنت أقوم بنفسى بإعداده لهم ، وكم كان هذا يسعدهم ويشعرهم بأننى واحده منهم ولست أبنة المدينة الغريبة عنهم .

شاركت البدو أفراحهم ، وأيضاً أحزانهم فقد شاءت الظروف أن أقوم بإجراء عملية الغُسل لسيده توفت ولم يكن أحد بجوارها حيث كانت تعيش بمفردها . كما حضرت المحاكم العرفية التى يعقدها البدو للفصل فى المنازعات التى تنشب بينهم .

عشت داخل الصحراء مع البدو فى استقرارهم حول المرعى وفى ترحالهم ورائها وفى فصول السنة المختلفة ، فى الصيف وحرارته الشديدة والتى تصل درجة الحراره فيه إلى أكثر من أربعين درجه مئوية ، وفى الشتاء الذى تنخفض حرارته فى بعض الأحيان إلى تحت الصفر ، وقد حرصت على حضور مولد أبى الحسن الشاذلى والموافق لوقفة عرفات « عيد الأضحى » ، فقد قضيت عيد الأضحى لعام ١٩٨٤ فى وادى حميثره بصحراء عيذاب وبها مقام الشاذلى .

وقد نزلت إلى معظم مناطق الصحراء الشرقية ووديانها وجبالها ومنها على الساحل « مرسى علم ـ أبو غصون ـ حماطة البوابة ـ الحميرا ـ برنيس ـ رأس بناس ـ الشلاتين » . وأخرى داخل الجبال ومنها « أبرق ـ العلاقى ـ

ادنديت ـ جبل علبه ـ أبو رماد ـ حلايب ـ الشاذلى ـ حفافيت ـ وادى عباد ـ وادى الخريط » . ، ولم يقتصر الأمر على الصحراء بل نزلت مدن « الغردقه ـ القصير ـ قنا أسوان ـ أدفو ـ دراو ـ أبو سنبل » وذلك لمقابلة المسئولون وشيوخ القبائل والشعراء وأيضاً زرت سوق الإبل بدراو .

ورحلتى بحق هى رحلة المليون كيلو متر ، فقد كانت أسفارى كثيره وترحالى دائم فيصادف أن أكون فى الصباح فى الشلاتين وفى المساء أكون بالغردقة والمسافه بينهم ستمائة ك . م . وفى اليوم التالى أعود للشلاتين ومنها إلى داخل الجبال والصحراء وهذا على مدار عام كامل قضيته داخل الصحراء الشرقية .

وكم كانت سعادتى وأنا أرى المستحيل يتحقق وفى كل خطوه كنت أخطوها ومع تغلبى على كل عقبه تواجهنى ، كنت أشعر بالانتصار لى ولطموحى .

والحياه لابن المدينه بالصحراء ليست بالسهله ، فعليه أن يكون حريصاً لكى لا يصاب بلدغ العقرب والثعبان « الطريش » وخاصة مع عدم وفرة المصل المضاد لها بالإضافه إلى بعد الوحدات الصحية المنتشره على الساحل فقط ، وقد كنت أحرص على حرق الأرض قبل أن أنصب خيمتى ، وأيضاً أحرص عند أرتداء ملابسى أو تناول أى شىء من الخيمه ، ورغم هذا فقد أصبت بلدغه عقرب فى يدى اليمنى وكنت بمفردى وقمت بفصد الدماء وانتظرت ست ساعات حتى وجدت سيارة نقلتنى للوحده الصحية بمرسى علم .

وفى الصحراء تواجهك أيضاً مشكلة عدم وفرة المياه ، ومهما حرصت على توفيرها وجلبها معك إلا أنها تنفذ بسرعة ، واضطرتنى الظروف كثيراً لشرب مياه الآبار المالحه ومياه الأمطار والتى يجمعها البدو من فوق الصخور ، والمياه

الراكده والممتلئه بالطفيليات وكنت أشرب فى زمزميه ملونه حتى لا أرى لون وشكل الماء وإلا أدركنى الموت من العطش .

ومن المشاهد المروعة فى الصحراء مشهد السيل وهو هابط من فوق الجبل ليغمر الوادى ويكتسح أمامه كل شيء وأى شيء خيام البدو ، معسكرات الجيولوجيين السيارات الجيب وسيارات النقل ، وترى الوادى وكأنه تحول إلى نهر تموج رماله بمائه ، وبعد ساعات قليله تمضى تبتلع الرمال الماء وكأن شيئاً لم يكن وتبقى فقط آثاره .

وقد شاهدت نزول السيل مرتين أولها كنت فى الصحراء لحضور مولد الشاذلى وهو موافق لوقفة عيد الأضحى كما ذكرنا وأقمت بمنطقة مرسى بعد انتهاء المولد ونزل السيل وغرقت الاستراحه التى كنت أقيم بها وغرقت معها ملابسى وطعامى وأوراقى وأصبت بحمى وعشت أسبوع لا أدرى عن الدنيا شيء ولا أحد يدرى عني شيئاً لأننى كنت بمفردى فى المنطقة لأن كل العاملين بالمنطقة كانوا فى أجازة العيد يقضونها بعيداً عن الصحراء ، والمره الثانيه التى شاهدت فيها السيل كان فى شتاء عام ١٩٨٥ حيث كنت أستقل أتوبيس سيارة كبيرة متجهه إلى أبرق ونزل السيل مع غروب الشمس وحمل أمامه كل شيء حتى السياره حملها التيار وسار بها ولولا رحمة الله بنا وحكمة السائق لانقلبت السيارة وغرق الجميع ، وانتظرنا ساعات الليل الطويله حتى أشرقت الشمس وذهب الماء ثم أكملنا طريقنا .

وليل الصحراء طويل ولكنه جميل بديع فالشمس تشرق فى الخامسه صباحاً ومع شروقها لا تستطيع النوم لأن ضوئها يملأ المكان ، ورغم أننى كنت أنام فى وقت متأخر من الليل حيث أقضى وقتى فى حفلات السمر أو فى أفراح البدو التى تمتد إلى وقت متأخر من الليل أو أجلس فى خيمتى لأسجل ملاحظاتى وأدون مادتى العلمية إلا أننى أستيقظ مبكراً مع أول شعاع ، فقد عشقت شروق الشمس وغروبها .

وهكذا أمضيت فى الصحراء الشرقيه عاماً كاملاً ، أحببت فيه المكان والجبال والإنسان وأننى الآن أستكمال رحلاتى للصحراء الشرقية المصرية السودانية بهدف استكمال دراستى لفروع قبيلة البجه للحصول على درجة الدكتوراه .

يونيو ١٩٨٦



٤ ـ العبابدة والبشارية فى الدوائر العالمية .

أهتمت الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية فى العالم بدراسة الشعوب البدائية وخاصة الشعوب الأفريقية ، كما سجل الرحاله ملاحظاتهم عن تلك الشعوب .

ومن أقدم القبائل التى عاشت بأفريقيا هى قبيلة البجة التى عاصرت قدماء المصريين ، وعاشت منعزله داخل الصحراء الشرقية الممتده بساحل البحر الأحمر بمصر والسودان .

وهناك العديد من الدراسات والأبحاث التى تمت عن تلك القبائل ولكن بشكل عابر وغير متخصص نظراً لصعوبة الوصول إلى موطنهم المنعزل عن الحضارة فى وادى النيل ، وأول ما سجل عن قبيلة البجة كانت تلك النقوش التى رسمها قدماء المصريين على جدران معابدهم والتى تشير للمحاربين الأقوياء الذين دافعو عن شرق مصر أمام غزو الهكسوس .

وفى التاريخ الحديث نجد الحملة الفرنسية سجلت مشاهداتها فى مجلداتها عن وصف مصر أثناء تواجدها فى القرن الخامس عشر الميلادى وأشارت إلى العبابده والبشاريه فى المجلد الخامس .

ثم تأتى دراسة كلونزينجر عام ١٨٧٨ عن سكان وقبائل مصر العليا ، تليها أبحاث العالم الانجليزى سليجمان عام ١٨٨٢ م . واهتم فيها بدراسة السلالات فى أفريقيا مركزاً على الجنس الحامى فى شرق أفريقيا وفى عام ١٨٩٢ صدرت دراسة « لين بول » عن الحياة الاجتماعية فى مصر ، أما العالم

الانجليزى مورى فقد اهتم بدراسة القبائل العربية الموجوده بأفريقيا وذلك من خلال كتابه « أبناء اسماعيل » مستبعداً لقبيلة البجة باعتبارها من الجنس الحامى وليس السامى ، وقد خصص بحث صغير تناول فيه قبيلة العبابدة بالدراسة لبعض عاداتهم وتقاليدهم وكانت هذه الدراسة فى أواخر القرن التاسع عشر ، ولكنها صدرت فى عام ١٩٣٥ .

والدوائر العالمية للمعارف أشارت إلى قبيلة البجة وفروعها وهى « العبابدة ـ البشارية ـ الهدندوه ـ الأمرار ـ بنى عامر » وقالت بأن تلك القبيلة تعيش فى الصحراء الشرقية منذ ٤٠٠٠ سنة وأنها عاصرت المصريين القدماء .

ومما هو جدير بالذكر أن كل الرحالة العرب القدامى أشاروا لتلك القبيلة ومنهم على سبيل المثال « المقريزى ـ المسعودى ـ الادريسى ـ ابن خلدون » . وذلك قبل دخول هذه القبيلة الإسلام ، وكان وصفهم لها على أنهم شعوب وثنية والنسب فيها أموى ، وهم أبداً عراه ولا يسترون إلا العوره .

وقد أشارت كل الكتابات التى تناولت النوبة والنوبيين إلى قبيلة البجة وفروعها باعتبارهم جيران للملكة النوبة القديمة وكانوا دائماً فى صراع معهم ، ظل مستمراً حتى دخول البجة فى الإسلام .

●●

٥ـ فكره عن الصحراء الشرقية

الصحراء الشرقية تضم سلسلة فقرية تمثل جبال البحر الأحمر التى تمتد موازية للبحر وتترك بينها وبينه سهلاً ساحلياً ضيقاً ، ويمكن اعتبار جبال البحر الأحمر الحد الشرقى لحوض النيل ، إذ تنحدر على جوانبها الشرقية أودية طويلة تنتهى إلى البحر ، وعلى جوانبها الغربية أودية تتصل بالنيل وهى أكثر انحداراً من التى تتصل بالبحر ، وتنقسم الصحراء الشرقية إلى إقليمين : -

الأول : وهو الإقليم الجنوبى ويسمى هضبة الخراسان النوبى أو هضبة العبابده .

الثانى : الاقليم الشمالى ويسمى هضبة الصخور الجيرية أو هضبة المعازه . ويفصل بينهما الخط الواصل بين قنا والقصير .

تضم الصحراء الشرقية قمم جبلية تتفاوت فى ارتفاعهاومنها مجموعة جبال الفرايد ومتوسط ارتفاعها ١٣٦٦ م ، وجبال أبرق ارتفاعها ١٣٥٣ م ، وجبال الجرف وارتفاعها ١٧٣٦ م ، وتعتبر سلسلة جبال علبه الممتده جنوب مصر أعلى قمم جبلية فى مصر حيث يصل ارتفاعها إلى ١٩١٢ م . وفى الشتاء تتكون الثلوج فوق قمته .

ومن أهم الاودية فى الإقليم الجنوبى والتى تتصل بالنيل هى وادى العلاقى ـ وادى الخريط ـ وادى شعيت ـ وادى عباد ـ وادى الحمامات ، وهناك من الاوديه التى تتصل بالبحر ومنها وادى الجمال ـ وادى الحمى ـ وادى القصير .

والصخور النارية هى أكثر أنواع الصخور انتشاراً فى الهضبة الجنوبية ، وصخر الجرانيت بالذات هو أكثر الأنواع النارية شيوعاً ، إذ تتكون منه بعض الكتل الجبلية كجبل حماطة وعلبة ، أما الصخور الرملية فأنها تغطى سطح الهضبة الجنوبية بالإضافة إلى التكوينات الرسوبية المتمثلة فى طبقات الحجر الجيرى المتجبس .

والصحرائ الشرقية غنية بثرواتها المعدنية سواء بباطن الأرض أو فى القمم الجبلية ومنها « الذهب ـ الحديد ـ النحاس ـ القصدير ـ الفوسفات ـ المايكا ـ التلك ـ الرخام » .

وتعتمد الصحراء الشرقية بصفة عامة على الأمطار التى تسقط على سلاسل جبال البحر الأحمر ، ثم تنساب منها على هيئة سيول تنحدر أما شرقاً فى اتجاه البحر وإما غرباً فى اتجاه النيل ، وسرعان ما تتسرب هذه المياه فى رواسب الرمال والحصى التى تملأ بطون الوديان ، وإذا ما اعترض مسير هذه المياه سد باطنى يؤدى إلى تجمعها ويعوق سيرها صوب النيل أو البحر ويتكون فى هذه الحالة خزان طبيعى للمياه الجوفية .

ولهذا نجد الآبار هى أكثر الموارد المائية انتشاراً فى الصحراء الشرقية فالإقليم الجنوبى أو هضبة العبابدة والبشارية غنى بتلك الآبار والتى ساعدت وسهلت عملية اختراق الصحراء منذ أقدم العصور . (*)

ومنها ما هو غنى بالمياه الصالحة للشرب مثل آبار « السنطه ـ عمريت ـ ديف ـ مبيضة ـ الشلاتين ـ هتريت ـ حماطه » . بالإضافة إلى ينابيع الماء

(*) أنظر الخريطة رقم «١» والتى توضح موطن العبابدة والبشارية وأهم الأودية والآبار ، وكذلك المناطق التى زارتها الباحثة وعاشت فيها مع البدو .

العذب التى تنبثق انبثاقاً طبيعياً من باطن الأرض ومن بين الصخور مثل ينابيع « أبرق ـ أبى سعف ـ منيحه » . وهناك من الآبار التى جفت ماؤ ها تماماً مثل آبار « أم الحبال ـ سبريت ـ البرامية ـ الفواخير » . ويسود المنطقة مناخ صحراوى مدارى جاف صيفاً يميل إلى البروده شتاءً ، ويسود القسم الشمالى من الهضبة الجنوبية الرياح الجافة ، أما القسم الجنوبى منها فيخضع لتأثير الرياح الجنوبية الشرقية الرطبة .

••

الخريطة رقم (١)
١ ـ الطرق البرية
٢ ـ الوديان الرئيسية
٣ ـ الآبار
٤ ـ الأماكن التى زارتها الباحثة

البحر الأحمر

الصحراء الشرقية المصرية

٦ـ سكان الصحراء .. من هم .. ومن أين جاءوا ..

منذ القدم والصحراء الشرقية آهلة بالسكان وكان أسمهم فى الزمن القديم البليمين ، وأسماهم قدماء المصريين ميجا أو ميجاوى وهى كلمة فرعونية تعنى الرجل المحارب وذلك لأنهم استعانوا بهم فى مختلف الأعمال الحربية والخاصة بحماية الباب الشرقى لمصر وهو ساحل البحر الأحمر . ثم حرف الإسم بعد ذلك إلى بجة وتعتبر البجة من الجنس الحامى الذى عبر البحر الأحمر من آسيا إلى أفريقيا منذ أقدم العصور ، وفى الغالب أنهم من سلالة أولاد كوش بن حام الذين هاجروا للسودان بعد الطوفان .

وظلت البجة تعيش فى الصحراء الشرقية على امتدادها فى مصر والسودان وذلك منذ ٤٠٠٠ ق . م .

ويؤكد سليجمان العالم الانجليزى أن السلالة التى تقطن الصحراء الشرقية بمصر والسودان شديدة الشبه بسلالة قدماء المصريين وخاصة عصر ما قبل الأسرات وقد استطاعوا الحفاظ على نقاء سلالتهم بعزلتهم الشديدة داخل الصحراء ، وقبيلتى العبابدة وبنى عامر شديدى الشبه بقدماء المصريين .

ويتكلم البجه اللغة الكوشية حيث كانت اللغة الكوشية مثل البربرية كتلة صلبة قبل وصول اللغة العربية ويسميها الألمان اللغة التبدواية وهى لغة غير مكتوبة ولا مقرؤه وإنما تورث من جيل إلى جيل ، وهى تحتوى على الكثير من الكلمات الفرعونية .

وعن ديانة البجة قبل دخول المسيحية إلى بلاد النوبة ، فقد كانت خليطاً من مصرية قديمة ويونانية ومروية ، فقد عبدوا إيزيس وأوزوريس وكانوا يحجون كل عام إلى معبد فيلة ويرجعون للصحراء حاملين لتمثال إيزيس لتجلب لهم الخير وتدفع عنهم الشرور ، ومع انتشار عبادة آله الشمس فى حضارة هليوبلس القديمة تأثروا بها وعبدوا آله الشمس وكان من عاداتهم تقديم الضحايا البشرية الى اله الشمس كنوع من القرابين .

وظل البجه على وثنيتهم ، ويقاومون كل محاولة تثنيهم عن دينهم حتى القرن السادس الميلادى ، وبعد فتح مصر بأربع سنوات حيث تم فتح جنوب مصر ، وبدأ الإسلام يغزو المملكة النوبية المسيحية ، فى الوقت الذى كان فيه البجه يخرجون من الصحراء ليغيروا على سكان الوجه القبلى ويسلبوهم أموالهم وتجارتهم ويرجعون للصحراء معتمدين على جهل أهل وادى النيل بمجاهل الصحراء .

وفى تلك المرحلة تم عقد ثلاث اتفاقيات بين المسلمين وقبيلة البجه لأنهاء حالة الحرب بينهم والسماح للقبائل العربية بالعيش بأرض واستغلال مناجم الذهب المنتشرة بوادى العلاقى . وكانت النتيجة استقرار بعض القبائل العربية فى أرض البجة ومنهم قبيلة الكواهلة الذين اشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجة فقويت البجة بهم ، وجاءت المصاهرة بين الكواهلة والبجة كخاتمة للصراع بين البجه والعرب المسلمين ، كما كانت بداية لظهور فروع قبائل البجة المعروفه لدينا الآن والتى كانت معروفه فى التاريخ القديم بأسماء مغايره ، فقد كان العبابده معروفون بإسم الحدارب والقوم الذين يسكنون على حدودهم وهم البشارية يسمون باسم الرنافج وذلك طبقاً لما جاء بكتاب المقريزى « الخطط التوفيقية » .

وكان النسب فى قبائل البجة أموى ولكن بعد دخولهم الإسلام تحول النسب إلى النظام الأبوى ، وعرفت القبائل فيما بعد بأسمائها العربية المعروفة

لدينا الآن وهى « العبابدة ـ البشاريه ـ الهدندوه ـ الأمرار ـ بنى عامر » ومعظم تلك الفروع لا زالت تقطن الصحراء وتتكلم اللسان البجاوى فيما عدا العبابده الذين يتحدث معظمهم اللغة العربية ، وربما يرجع ذلك إلى أن العبابده كانوا فى العصور السابقه مسيطرون على ميناء عيذاب ، والذى كان الميناء الرئيسى لسفر الحجاج « حجاج أفريقيا الشرقية » إلى الأراضى الحجازية لاداء فريضة الحج .

وينسب العبابده إلى جدهم عباد الثالث المدفون بوادى عباد « قنا » والذى يرجع بنسبة إلى الزبير بن العوام ، وتنقسم العبابده إلى عدة بطون كبيرة ، انقسمت بدورها إلى عدة عمائر وبطون وعشائر وهم :-

١ ـ الشناتير ـ العبوديين ويرجع نسبهم إلى عبود بن عباد الثالث .

٢ ـ المليكاب ـ الفقرا ـ العكارمه وهم ينسبون إلى عبد الله الفقرى بن عباد الثالث .

٢ ـ العشباب وهم من نسل عشاب بن عبد الله بن عباد الثالث .

ومما هو جدير بالذكر أن كل فروع قبيلة العبابده نزحوا لوادى النيل واندمجوا مع سكانه فيما عدا قبيلة العشباب الذين مازالو يقطنون الشرقية ابتداء من خط الواصل بين قنا والقصير وحتى حدود آخر مصر مع السودان . ومع نمو القبائل وتشعبها نجد أن قبيلة العشباب نفسها قد انقسمت بدورها إلى عدد من العشائر وأهمها قبيلة الجامعاب والمحمداب .(١)

أما عن قبيلة البشارية فأنهم ينتسبون إلى جدهم بشار بن كاهل ويرجع بنسبه إلى قبيلة الكواهله التى تنحدر من نسل الزبير بن العوام ، وقد تزوج بشار من إمرأتين من البجه أحدهما أم ناجى والأخرى أم على ، ولذلك نجد أن

(١) انظر جينولوجى رقم «١» الذى يوضح فروع وبطون قبيلة العبابدة ، وأيضا الخريطة رقم «٢ - » والتى توضحان توزيع بطون وقبائل العبابدة والعشباب فى الصحراء .

قبيلة البشاريه تنقسم إلى فرعين وهم بشارية أم على ومعظمهم مستوطنون بالصحراء الشرقية المصرية والتى تتفرع إلى بطون كثيرة منها « العلياب ـ عميراب ـ همداوراب ـ شنتيراب » . وتلك تفرعت إلى عشائر صغيرة(٢) ، وهناك بشارية أم ناجى وهم يسكنون الصحراء الشرقية السودانية .



(٢) أنظر الجينولوجى رقم «٢» الذى يوضح فروع وبطون قبيلة البشارية ، وأيضا الخريطة رقم «٢» والتى توضح مكان استقرار البشاريه فى الصحراء الشرقية المصرية .

الخريطة رقم (٢)
توزيع العبابدة والبشارية

البحر الأحمر

أسيوط
الغردقة
قنا
القصير
قبيلة عبوديين والشناتير
قبيلة الجامعاب
العبابدة
قبيلة الحمداب
قبيلة العبوديين والشناتير
قبيلة المليكاب
البشارية
قبيلة بشارية أم علي (العلياب)
البشارية

العبابدة قبائلها وبطونها «جينولوجي رقم ١»

المكارمه – الشناتير – العبوديين – المليكاب – الفقرا – العشاباب

الجامعاب – الشباب – الحمداب

حيرتاب	حارتاب	بلالاب	عمرانتاب	قرجاب	
القع	عميراب	بطرتاب	التوراب	زيدان	العطياب
الرجياب	بشيراب	جهاداب	رقيداب	سعداب	الشمرياب
عبد الرجلاب	العقدا	زيداب	حساب		الجيرتاب
عمارال	عيباب	تيمن	قرجلاب		العيشاب
ترجاب	تلاقاب	كميلاب	سلاماباب		
سعيداب	عبد الرحيماب	سليماب			
		قرجاب			
		بكراب			
		ابراهيماب			

البشارية قبائلها وبطونها « جينولوجى رقم «٢»

بشارية أم على تفرعت الى أربعة قبائل رئيسية

علياب	عميراب	هداوراب	شنتيراب

منصوراب	الأمر	القورباب	الاشب
كريلاب	عجيباب	بلولاب	اللبب
كاتولاب	وهباب	حاكيناب	اشباديناب
عمران	قوربعمر	الانجل أولاب	العيسياب
اميراب	عمران	ابراهيماب	الاشوالاب
بلق	قباطيط بلولاب	بطران	التفيثاب
	الوجداب	محمد دبلوياب	الرحماياب
	الكايداب	حاكماب	السالماب
	الامبلكاب	ايشى	الرشد
			الجامهناب

بشارية أم ناجى

حانر
ايراب
نافاب
منصوراب

كريلاب تنقسم الى

البلجاب	عامر كريل
الكوربلاب	على كريل
الجندد	محمد هاساى
العلى قوربلاب	هبليب
المنصوراب	
الادر سلماب	
الشابش	

٧ ـ الخصائص الفيزيقية لقبائل العبابدة والبشارية

تلك القبائل شديدة الشبه بقدماء المصريين ، وخصائصهم الفيزيقية هى « الأنف المعتدل ـ الشفاه يغلب عليها الغلظه ولكنها أبعد عن أن تكون مقلوبه ـ لا يوجد بروز للفك ، الشعر مفلفل وغالباً ما يبدو مموجاً عظام الذقن دقيقة ـ لون البشره متنوع فأحياناً يضرب إلى الصفره وقد يكون نحاسياً أو بنى مشرباً بحمرة متدرج من البنى الفاتح إلى الأسود ووضع العينين لوزى الشكل وليس فيها جحوظ ، والقامه متوسطه الارتفاع أو تزيد وغالباً ما تكون ٦٤ بوصه والنسبه الرأسية تبلغ حوالى ٧٥ . »

ومما هو جدير بالذكر أن العزله الجغرافية كانت عامل رئيسى فى الحفاظ على تلك الخصائص الفيزيقية ، والتى تتسم بها قبيلة البجه عموماً وخاصة العبابده والبشاريه وذلك رغم دخول العنصر العربى عليهم .

٨ - كيف يديرون حياتهم داخل الصحراء وماذا يصنعون ؟

العبابده والبشاريه شعوب رعويه ، تمثل حرفه الرعى الحرفه الرئيسيه لديهم ، وهم رعاة رحل غير مستقرين يرتحلون وراء الماء والمرعى وذلك لأن البيئة التى يقطنونها فقيرة فى آبارها التى تصلح مياهها للشرب سواء للإنسان أو للحيوان هذا إلى جانب أن الكثير منها قد جفت ماؤه .

وتعتمد المنطقة اعتماداً كلياً على الأمطار على الرغم من ندرتها ، وتتفاوت كمية الأمطار من عام لآخر ، وقد تنعدم كلية فى سنوات تصل فى بعض الأحيان إلى خمسة عشر عاماً ، الأمر الذى يؤدى إلى حدوث هجرات واسعة يصل فيها البدو إلى الحبشة سعياً وراء الرزق .

والبدو لديهم القدره على التنبؤ بسقوط الأمطار وتحديد أماكن سقوطها وذلك من خلال رؤ ية بعض النجوم ، فالثريا نجم سعود يتفائل به البدو ويتوقع مع ظهوره نزول مطر غزير وكذلك « العقرب ــ السماك ــ عطارد » وذلك على العكس من « الجوزاء ــ النعوس » فهما دليل على الجفاف والحر الشديد ، وهناك نجوم كثيره لها مواعيدها ودلالتها لديهم ، ولا يقتصر الأمر على النجوم وإنما يدخل فى نطاق التفاؤ ل والتشاؤ م رؤ ية الطيور والحيوانات .

فرؤ ية الثعلب والغراب دليل على سقوط الأمطار إذا أصدرا أصواتاً معينه تختلف عن أصواتهم العاديه ، وأيضاً طير يسمى « الجنهور » وهو يشبه الصقر فإذا رأوه قادماً من الشرق كان دليل على سقوط الأمطار ويقولون فى أمثالهم

الشعبية « الجنهور غرب والخير قرب » ، أما إذا قدم من الغرب فهو دليل على الجفاف ويعبرون عن ذلك بقولهم « الجنهور صونج والمطره الشويح » .

وإذا ما بخلت عليهم السماء وعم الجفاف أسرعوا إلى قبر الشريف إسماعيل لينحروا له الذبائح وهى سبعة أغنام من الإناث يشترط فيهن اللون الأبيض وعدم الإنجاب من قبل ويقوم بذبحهن رجل تقى اشتهر بالخير والصدق ، وتشترك جميع القبائل فى تقديم هذا القربان لتستجيب لهم السماء ويهطل المطر .

والحيوانات التى يرعونها هى الإبل والضأن والماعز وتعتبر الإبل مقياساً للثروه وهى التى تحدد المكانه الاجتماعية للرجل ، وتستخدم الإبل كمهور عند الزواج ولذلك فإن الإبل هى عماد حياتهم فيها يقدر الثراء وبها تكون الرئاسات وفيها يقال الشعر وبها يكون اللهو والسمر عن طريق سباق الإبل ، ومن أشهر أنواعها لديهم « الجريش ــ الزبيدى ــ الجهنه ــ الرفاعى ــ الأصهب ــ البشارى » ، وأحسنهم للسباق هو الأصهب والبشارى ، ويظهر تقديرهم للإبل من خلال التقاليد المتبعة فى حلبها ورعيها ، حيث تقضى التقاليد بقصر رعى الماشية وحلبها على الرجال فقط وأن يتم الحلب فى آنية من الجلد أو سعف النخيل وتسمى بالعمره .

ونظراً لأنهم يتركون إبلهم ترعى فى الصحراء وتختلط ببعضها فإنهم يرسمون عليها رموزاً معينة مستخدمين الكى بالنار لعمل تلك الرموز على رقبة أو ساق الجمل ولكل فرع من فروع قبائل العبابده والبشاريه رمز خاص بها ، بحيث يمكن التعرف على أى جمل فى الصحراء والقبيلة التى تملكه .

وهناك فرع من قبيلة العشباب يسمون « الكريجاب » مستقرون على ساحل البحر الأحمر ويعملون بصيد الأسماك مستخدمين القوارب الصغيره أو باستخدام الشباك بالقرب من الحاجز المرجانى ، وهم يأكلون السمك وذلك على خلاف كل البدو الذين يرفضون أكل لحوم الأسماك والطيور ، كما أنهم

يقومون بتصنيع باقى السمك ومنه سمك البكالاه والفسيخ ويشتريه منهم تجار الأسماك بالقصير ، وأماكن تجمعهم فى « وادى الجمال ــ رأس بناس ــ المنازل » .

ومن العبابده والبشاريه من يتميز بالقدره الفائقه على تتبع الأثر بالإضافة إلى معرفتهم بطرق الصحراء وضروبها ولذلك فهم يعملون كأدلاء للطرق مع هيئة المساحه الجيولوجية ومرافقين للبعثات والرحلات داخل الصحراء وأيضاً يعملون مع قوات حرس الحدود ، ونتيجة لمعايشتهم الطويله للصحراء والجبال فإن الكثير منهم يعمل كخبراء بأنواع الصخور والمعادن الموجوده هناك والماهر منهم فى هذا المجال يطلقون عليه « دكتور حجر » .

ولأن الصحراء قاحلة خالية من أى مصدر من مصادر الغذاء فإنهم يشترون كل إحتياجاتهم من سوق دراو وذلك بعد أن يبيعوا الإبل والضأن والجلود المدبوغة والأعشاب الطبيه التى يجمعونها من الجبال ومنها « حلف البر »الحرجل ــ الدمسيسه ــ شجر الغزال » ويشترون من السوق الأقمشه والدقيق والبن والسكر وما يحتاجونه من الملبوسات والحلى .

ويعتبر سوق دارو أشهر سوق للإبل فى الشرق الأوسط حيث تأتيه الإبل من السودان والحبشه وأوغندا عن طريق تجار وسطاء ، فتأتى قافلة الإبل والتى يبلغ تعدادها نحو عشرة آلاف جمل وتسمى بـ « الدبوكه » ، وتأتى من السودان إلى مصر عن طريق وادى العلاقى ومنه إلى مدينة دارو شرق النيل ثم تسير فى طريق الأربعين فى الصحراء الغربية حتى تصل سوق إمبابه بالقاهره ومنه إلى مجازر الجمهوريه .

وفى الحياة البدوية نجد أن النساء أكثر مهارة ودقه من الرجال ومتحملين العبء الأكبر ، ويتوقف عصب الحياه فى الوادى على المرأه .

ومن مسئوليات المرأه رعى الأغنام والضأن وذلك لأنه غالباً ما يتم رعيها فى المناطق القريبه من خيامهم ، ويتولى الرجل رعى الإبل لأن رعيها يحتاج

للتجوال لمسافات كبيره ، ورعى الأغنام يتوقف على ظروف الأسره ، فإذا كان الزوج متزوجاً بأكثر من واحده ومقيمين معاً أو بجوار بعض فإن مسئولية رعى الأغنام الكبيره تقع على عاتق الزوجه الأولى وتتولى الزوجه الثانية رعى الأغنام الصغيره ، أما إذا كانت الزوجه تعيش بمفردها مع أولادها ، فإن العبء يقع على أولادها فى الخروج للمرعى ، وتقوم المرأة بعمل أكياس من القماش يلف بها ثدى العنزه حتى تحول بين الأم وصغارها فى شرب اللبن ، لأن اللبن غذاء رئيسى للبدو ينتظرونه ويعتمدون عليه لغذاء أطفالهم .

ومن الأعمال المحذور على المرأه القيام بها هى ذبح الماشيه وحلبها وأيضاً جز صوف الضأن ، وهى تقوم بغزل الصوف ونسجه باستخدام النول اليدوى فتصنع منه السجاد الذى يستخدمونه كفراش وغطاء للنوم أيضاً ، وشملات من الصوف يلبسونها فى الشتاء .

وإلى جانب اهتمام المرأه برعاية أولادها وزوجها فإن لها نشاط حرفى كبير ، فنستطيع القول أن كل الأدوات المستخدمه فى الحياه البدويه هى من صنع المرأه وإنتاجها ، فهى تقوم بعمل أطباق وأوانى من سعف النخيل يستخدم بعضها للزينه والبعض الآخر لحفظ اللبن ، كما أنها تقوم بحفر أوانى للطهى ولحفظ الطعام من حجر الهمر « التلك » والذى تقطعه بنفسها من الجبال المنتشره بموطنهم وتحمله على ظهر دابه حتى مسكنها ثم تقوم بحفره وتشكيله بأشكال القدور والأوانى .

وفى وقت فراغها تصنع من الخرز الذى تشتريه من الريف أساور وعقود بأشكال زخرفيه جميله لتتحلى بها ، وأيضا تصنع ما تزين به خيمتها .

●●

٩ ـ الزواج والطقوس

يأتى اختيار العروس كأولى مراحل الزواج ، والفتاه العباديه والبشاريه هى زوجة لإبن عمها فى المقام الأول وفى حالة عدم وجوده فأنها تكون زوجة لإبن خالها أو ابن عمتها .

وزواج الفتاه عند البدو أمر يهم القبيله كلها وليس مسئولية الأب والأم فعندما يتقدم شاب لخطبة فتاه يقوم والدها باستشارة شيوخ القبيله وخاصة أخوته وموافقتهم شرط أساسى لإتمام الزواج .

وبعد اختيار العروس يذهب والد العريس وشيوخ القبيله إلى والد العروس ويدفعون مبلغ من المال « غالباً ما يكون ثمانية جنيهات » وهذا المبلغ يعتبر ربط كلام ويتم تحديد موعد الفرح والزفاف ، فالبدو ليس عندهم فترة الخطوبه الموجوده بطقوس الزواج فى وادى النيل ، وغالباً ما ترى العروس زوجها فى اليوم الأول من أيام الفرح .

وكل شهور السنه صالحه لإتمام الزواج فيما عدا شهر صفر الذى يتشائم منه البدو فلا يتزوجون فيه ولا يخرجون للتجاره ولا حتى للمرعى إذا كانوا مسافرين لمناطق بعيده ، وغالباً ما يتم الزواج فى منتصف الشهر العربى .

ويقدر مهر العروس بالإبل وهو « ناقه وجمل وبعض الأغنام والضأن » ويتم تقسيم المهر بين والدى العروس بالتساوى ويكون لخالها نصيب منه ويسمى بجمل الخال سواء كان جملاً أو ما يساويه من المال وإذا كان الخال مسافراً يحفظ حقه لحين عودته ، وهناك الكثير من المشاكل التى تحدث بسبب

ضياع حق الخال فى مهر إبنة أخته ، وذلك بخلاف الهدايا التى يشتريها العريس لعروسه وأسرتها .

ويستمر الاحتفال « الفرح » سبعة أيام وفى الماضى كان الفرح يستمر خمسة عشر يوماً ، ويتحمل العريس كل النفقات ، حيث ينحر كل يوم ذبيحه على شرط أن يكون جملاً فى اليوم الأول والأخير ، وتبدأ أولى مراسم الزواج بوصول العريس وأسرته وأقاربه إلى الوادى الذى تسكنه العروس فى موكب من الإبل ، ويشير العريس بسيفه إلى المكان الذى يرغب إقامة مسكنه فيه ، ثم يأتون بجمل تقوده سيدة كبيره ومعها أطفال صغار « ولد ـ بنت » دون البلوغ ويشترط أن يكون والديهما على قيد الحياه ، وتلف السيدة بالجمل حول المكان الذى أشار إليه العريس سبعة مرات ثم تنزل عن الجمل وتلقى بالحلوى حول المكان فيتهافت الأطفال عليها ، ويبدأ العريس وأقرانه فى فرط الشيله بمعنى أن يفرش الأبراش التى سوف يبنى بها الخيشه الخاصه به ثم يضع عليها الهدايا التى أحضرها وتشمل « الروائح ـ الحنه ـ الأقمشه ـ الأحذيه ـ الحلى » ويحضر المدعوين لأخذ هداياهم ويقوم العريس بتقديم الهدايا الخاصه بالعروس إلى والدتها .

وفى نفس الوقت يقوم الرجال بنحر الذبائح ويشترط أن يكون ذلك وقت انتصاف الشمس فى السماء ، وتبدأ النساء فى إعداد الطعام ، وبعد الغروب يقوم الأمير وهو العريس حيث يلقبونه بهذا الإسم طوال فترة الفرح ومعه أصدقاؤه ببناء الخيشه ثم يعاونونه فى خلع ملابسه القديمه وارتداء الملابس الجديده ويحمل السيف والدرجه ويجلس ليستقبل ضيوفه ويقدم لهم الحلوى ويسكب عليهم العطور .

وفى الليل يحضر الرجال والضيوف والشيوخ ويبدأ عقد القران الذى يتم بقراءة الفاتحه فقط حيث أن البدو ليس عندهم تسجيل للزواج أو الميلاد أو الوفاة ، وتقضى التقاليد عند العبابده والبشاريه ألا يحضر أسرة العروس

احتفالات الزواج التى تقام على بعد بسيط منهم ، وعلى الضيوف أن يذهبوا إلى خيمة العروس لتهنئة أهلها ثم يعودون ثانية إلى خيمة العريس للرقص والغناء .

وبعد عقد القران تقوم الوزيرات وهن صديقات العروس بأخذها إلى خيمة العريس وتلف حولها سبعة مرات ثم تدخلها وتسلم على زوجها ويبدأ العريس وأصدقاؤه فى محاولة قطع الحبل الذى تلفه العروس حول وسطها وتتمنع العروس وتظهر مقاومتها ويساعدونها صديقاتها ويظل ذلك السمر حتى ينقطع الحبل ، ويأخذ كل واحد من الموجودين قطعة منه ، يستبدلونها بعد ذلك بمبلغ من المال من العريس ، وبعد الانتهاء من قطع الحبل تعود العروس إلى خيمة أسرتها .

وتستمر الاحتفالات سبعة أيام ، يتم فى كل يوم النحر وتقديم الطعام إلى الضيوف ، وفى الليل يكون الرقص والغناء والسمر .

يأتى بعد ذلك يوم الزفاف وهو (اليوم السابع ، حيث تقوم الوزيرات بزف العروس إلى خيشة زوجها فى الليل وبعد غروب الشمس وسط الغناء ، وفى الصباح وقبل ظهور الشمس تذهب الوزيرات لأخذ العروس وإعادتها إلى خيشة أسرتها ، وبعد الغروب يعيدونها إلى زوجها ، ويظل هذا الحال لمدة أربعين يوماً ، بعدها تستقر مع زوجها وترحل معه إذا شاء ذلك .

ويرجع هذا التقليد فى الزفاف إلى وقت أن كانت البجه تدين بديانة عبادة إله الشمس ، فكانوا يولون إله الشمس الإحترام والتقديس وهذا يقضى بعدم جلوس الزوجين معاً أثناء حلوله على العالم وقت شروق الشمس ، ورغم أن العبابده والبشاريه يدينون بالإسلام ، إلا أن هذا التقليد مازال موجوداً .



١٠ ـ الطفولة

مكانة المرأه البدويه فى وسط أهلها تتوقف على نشاطها فى إنجاب الأطفال ، وإن كان هذا لا يؤثر كثيراً على استمرار الحياه الزوجية نظراً لأن الزوج يبقى على زوجته تحت أى ظروف .

ولكن ماذا تفعل المرأه العاقر ؟ ؟ ؟

عليها أن تذهب إلى زيارة أحد الأولياء وخاصة الشيخ مالك وتنذر له ذبيحه بهدف إجابة دعائها لكى تنجب .

أو أن

تخرج فى صحبة سيدة عجوز فى هلال الشهر العربى إلى البحر ليلاً تغطس فى البحر سبعة مرات وتقوم العجوز بضربها فى جنبها الأيسر بمحار البحر المسمى « جمل البحر » وليأت الله بالفرج .

وإذا ما حملت المرأه تعود لأسرتها لتلد بجوارهم وخاصة إذا ما كانت بكراً ، وتقوم النساء بمساعدة السيدة التى تلد ، فلا يوجد لديهم قابلة متخصصه . وبعد الولاده يتم دفن الخلاص فى خيشة الوالدة على عمق كبير من الأرض إذا ما كانت المولوده أنثى ، أما إذا كان ذكراً فتخرج إمرأه صغيره فى السن وسعيده فى حياتها ووسط ضحكات الأطفال لترميه فى البحر .

حفلة السما يه

فى اليوم السابع لميلاد الطفل يجتمع الأهل وأفراد القبيله نساء وشيوخ

وأطفال ، وعند الظهيره تنحر الذبائح وتعد الولائم ويقدم واجب الضيافه للمدعوين وبعد الغروب يجتمعون حول صحن كبير به خبز وسكر ولبن ويبدأ كل من المدعوين بوضع النقطه فى الطبق مع إقتراح إسم للمولود حتى ينتهى الكل من وضع النقطه ثم يحمل الأب الصحن ويدخل الخيشه عند الوالده ويجمع النقطه ويسألها عن الإسم الذى اختارته من الأسماء التى طرحها المدعوين ويتفق الإثنان عليه ويخرج على الضيوف ليعلن إسم المولود وقيمة النقطه وذلك وسط زغاريد النساء ، ويبدأ الرقص والسمر حتى وقت متأخر من الليل وخاصة إذا كان المولود ذكراً .

حفلة العرابه

وهى الحفله التى تقام للطفل الذكر عند ختانه ، وغالباً ما يكون يوم الأربعين لميلاده .

فى الظهيره تحضر نساء القبيله ويختار من بينهن سبع سيدات تتسم حياتهن بالسعاده والرضا ، يجلسن على الأرض وتتوسطهن أم الطفل ويأتون بسبعة أطباق بكل طبق نوع من تلك الأنواع « ذره – قمح – حنه – لبن – تمر – ماء – محلبيه » وتبدأ السيده الأولى فى الدائره بأخذ الطفل من أمه ووضعه على الطبق الذى أمامها وبه ذره وتقول بعض الأدعيه ثم تعطيه للسيده التى تجاورها فى الدائره وتقوم هى الأخرى بوضع الطفل على الطبق الذى أمامها وبه قمح وتدعو له بالسعاده ، وهكذا حتى يتم العدد سبع مرات ثم يبدلون له ملابسه حيث أنه طوال الأربعين يوماً لا يلبس المخيط ولكن يلف فى قماشه بيضاء وبعد الأربعين يلبس قميص من الدمور . ووسط زغاريد النساء وتهليلهن يأتى رجل له خبره بأعمال الختان لأنه لا يوجد لديهم من هو متخصص والذى يماثل الحلاق فى القريه ، وأيضاً بالنسبه للفتاه تقوم بالعمليه سيده كبيره ، وهم لا يهتمون كثيراً بإعلان ختان الفتاه .

وفى الليل يرقص المدعوين ابتهاجاً وفرحاً .

١١. تقاليد قديمة ومازالت باقية

تقديم القرابين للأرواح

إذا ما توفى الإنسان أولوه عناية فى الغسل وكفنوه فى ثياب بيضاء ومشطوا له شعره وزينوه كما كان فى حياته وعطروه بأحلى العطور ويضعونه فى القبر المبطن بطبقة من الحجاره ووضعوا معه ممتلكاته التى كان يعتز بها مثل السيف والخنجر والنعال ، ويصبون فوق القبر السمن واللبن والماء ، ثم يذبحون على القبر ناقه أو جمل وفى الماضى كانوا يذبحون الغزال أو التيس ويتركونها على القبر كقرباناً للأرواح حتى ترضى بقبول الروح الجديد بينهم .

الاحتفال بالعيد والحفايض

لدى العبابده والبشاريه عادة يمارسونها عند احتفالهم بعيد الأضحى ويسمونها بالحفايض ، حيث يأتون بسبعة من أحجار البازلت المستطيله الشكل وسوداء اللون ويضعون خمسة منها أمام باب الخيشه والإثنين الباقين على نفس الامتداد خلف الخيشه بحيث يكون نصفها ظاهر ، ويتم هذا فى صباح يوم العيد وعند انتصاف الشمس يقوم صاحب الخيشه بصب اللبن والسمن والحنه على تلك الحجاره ويدعو له ولجيرانه بالخير ، وهم لا يعرفون معنى هذا التقليد وأصله ، ولكنى اعتقد أنه يرجع إلى العصر الذى كانت تدين فيه البجه بعبادة إله الشمس .

الجـن

يعتقد البدو كثيراً فى وجود الجن وقدرته على الحاق الأذى بالإنسان وأن

الصحراء موطنه ومستقره ، وعليهم إذا ما نزلوا بمكان جديد أن يستأذنوا سكانه الأصليين (الجن) قبل الإقامه فيه وذلك من خلال تقديم قربان لهم ، فيذبحون ذبيحة شاه أو ناقه فإذا ما سالت دماء الذبيحه على الرمال كان هذا تطهيراً للأرض وإرضاءاً لتلك القوى الخفيه التى لا يرونها ولكن يسمعونها .

وهناك الأرواح الشريره وهى قوى غيبية تختلف عن الجن ويخشونها أيضاً ولكى يحموا أنفسهم منها عليهم أن يوقدوا النار فى المكان الجديد الذى نزلوا إليه ويلقون فيها بالملح فإذا ما صعد اللهب الأزرق ابتهلوا جميعاً ودعوا الله أن يجعل المكان آمناً ، وإذا لم يظهر اللهب الأزرق فعليهم أن يغادروا المكان إلى مكان آخر يكون آمناً .

البدو والثعابين

الثعابين هى عدو للإنسان يقتلها أينما وجدها ، بينما الرجل العبادى والبشارى يعتقد أن الثعابين هم قوم من الجن يتشكلون فى صور الثعابين ولذلك فهم يحرصون على عدم الحاق الأذى بهم ، فيما عدا ثعبان الطريش فهم يقتلونه لأنه مؤذى ، وهم أيضاً يرون أن من بين قوم الجن الذى يظهر فى شكل ثعابين المؤمن والكافر ، فإذا ما رأى أحدهم ثعباناً جاء أمامه ورسم سبعة خطوط على الأرض وهو يقول « تلك حدود الله بينى وبينك » فإذا ما تحرك الثعبان بعيداً عن الرجل اعتبره جنى مؤمناً ويتركه يرحل فى سلام ، أما إذا تحرك الثعبان ماراً بتلك الخطوط اعتبره العبادى جنى كافر ويستحق القتل ، ويقتله فعلاً .

فإذا ما قتله يحمله ليدفنه فى مكان بعيد يشترط ألا يكون منزلاً للسيل ويضع معه فى الحفره سبع بعرات جمل وسبعة أخرى لضان ويضع فوقهم

الحجاره ، وتلك البعرات بمثابة حارس لقبر الثعبان حتى لا تعود إليه الروح ثانية ، وإذا ما رأى أحدهم ثعباناً حياً فى مكان مدفون فيه ثعبان اعتقدوا بأن الروح عادت للثعبان المقتول وفى هذه الحاله يعتبرونه « ولى من أولياء الله » من قوم الجن وتحرص القبيله على عدم إلحاق الأذى به وإلا أصابهم الهلاك .



١٢ ـ المرض والعلاج فى الصحراء

لا يعانى البدو داخل الصحراء من الأمراض المتوطنه أو التى تنتشر عن طريق الميكروبات ، ويرجع هذا إلى طبيعة المناخ الجاف فى الصحراء بالإضافه إلى إرتفاع درجة الحراره دائماً ، وتتركز الأمراض التى يشكون منها فى « الأنيميا » والضعف العام نتيجة لأنهم لا يأكلون كل أنواع الخضروات والفواكه ، فغذائهم الرئيسى هو الدقيق سواء كان على شكل عصيده أو خبز بالإضافه إلى اللحم كما ينتشر بين البدو أمراض العيون والتى تنتج عن عدم الاهتمام بنظافتها .

ويعتمد البدو فى علاج أمراضهم على الأعشاب البريه التى تنمو بموطنهم ، ومنها « الحرجل ـ حلف البر ـ الصمغ ـ الدمسيسه » وهذا بالنسبه لحالات المغص فى المعده والأمعاء والكلى .

أما ألآم الأسنان والصمم فى الأذن فيستخدم لعلاجها الكى للجزء المصاب ، فابالنسبه للأذن يتم كى العصب المؤدى لها خلف الأذن ، بينما ألم الأسنان يعالج بكى الشريان الظاهر فى معصم اليد المعاكس لاتجاه الألم ، بمعنى إذا كان الألم فى الجانب الأيسر من الأسنان فإنه يتم كى شريان معصم اليد اليمنى والعكس بالعكس .

أما حالات الصداع فتعالج بفصد الدماء من أعلى الصدغين « الفصد هو جرح الجلد باستخدام الموسى على شكل ثلاث خطوط رأسيه جانب العين « فإذا ما نزف الدم شفى المريض .

والآم العظام يعالجونها باستخدام « دهن الضأن » كدهان للجزء المصاب ، ويعتمدون على الكى كعلاج رئيسى لكل من آلام المعده والحمى والعمود الفقرى بالإضافه إلى لدغة العقرب والثعبان وذلك بعد أن يفصد الدم المختلط بالسم ، وعند بتر أى جزء من الجسم يصب عليه الدهن المغلى ، فهم يضطروا إلى بتر الجزء المصاب بلدغة ثعبان الطريش نظراً لخطورة بقائه حيث أسنان الثعبان تنزل مع السم إلى جسم الإنسان .

ولدى البدو اعتقاد كبير فى أن كثير من الأمراض وخاصة تلك الغريبه عنهم كالشلل والصرع تسببها لهم المخلوقات الخفيه « الجن والأرواح الشريره » ولذلك فإنهم يلجأون إلى رجل متخصص يعالج مثل هذه الأمراض بعمل الأحجبه والتمائم من أجل الشفاء وذلك بعد نحر ذبيحة تقدم كقربان لتلك الأرواح الشريره .

ومنهم من يقوم بزيارة قبور الأولياء الصالحين بنية الشفاء .

١٣ـ الجمال والزينة فى المجتمع البدوى

الجمال سمه من سمات هذا الكون وهو منشد ومطلب لكائنات ومخلوقات الكون ، والإنسان يسعى ويندفع نحو التزين ليجمل سماته محببه لأفراد المجتمع الذى يعيش فيه وخاصة الجنس الآخر بهدف إستمالته .

وأصبحت الزينه ووسائلها سمه تميز المجتمع البدائى عن المجتمع المتحضر ففى المجتمعات الحديثه تتجمل المرأه بأدوات ومواد خاصه تعرف Cosmetics كالبودره وأحمر الشفاه وغيرها ، فى حين أن المجتمعات البدائيه تستخدم وسائل للتجميل نراها نحن قبيحه أو مشوهه كمط وإطالة الرقبه والشفاه ، وتجميل الوجه بواسطة إسطوانات من الخشب والعاج ، ، وتشريط الخدود ووشم الجبهه والذقن والصدر .

ورغم اختلاف الحضارات فى إسلوب التزين إلا أن كلها ، البدائيه والمتقدمه تشترك فى الاهتمام بالزينه والتزين . ويختلف الأسلوب تبعاً للوظيفه التى تؤديها الزينه فى المجتمع ، ففى المجتمع البسيط نجد أن الزينه تنطوى على أداء وظيفة رمزية وسحرية واجتماعية إلى جانب الوظيفه الجمالية ، بينما فى المجتمع المتحضر قد تقتصر الزينه فى كثير من الأحيان على هدف الإشباع الجمالى .

والزينه إسم جامع لكل شىء يتزين به الإنسان من ملبوس أو حلى وسوف نعرض للزينة عند العبابدة والبشاريه وتشمل « العناية بالجسم ـ الملابس ـ تصفيف الشعر ـ تجميل البشره ـ الحلى »

١ ـ العناية بالجسم : ـ

تعتمد العناية بالجسم وتنظيفه إعتماداً كلياً على وفرة الماء ، ولما كانت الصحراء الشرقيه فقيره فى ماؤها ، حيث لا تتوفر المياه للاستخدام الدائم الأمر الذى كان له أكبر الأثر على نمط العنايه بالجسم لدى البدو حيث استعاضوا عن ذلك بدهن الجسم بالدهن « دهن الضأن » لحماية الجلد من التشقق نتيجة تعرضه للشمس المحرقه وقت طويل ، بالإضافه إلى جعله فى حاله من الليونه وتخلص الجلد من وجود أى حشرات « قمل الجسم » حيث أنهم يضيفون إلى الدهن الحلبه المطحونه ، ويتم استخدام الدهن كلما توفر لديهم وخاصة فى فصل الشتاء ، وهو يوازى استخدام أهل الحضر للكريمات المرطبه والمغذيه للبشره .

والعبابده والبشاريه مولعين جداً بالعطور ، ومن مظاهر كرمهم واحتفالهم بضيوفهم سكب العطور عليهم فى المناسبات الطيبه ، ومن أشهر عطورهم « الخمره » بفتح الخاء ، وهم يعدونها بأنفسهم وتتكون من « زيت الصندل ـ المحلبيه ـ القرنفل كميه من الكحول » ويتركونها للتخمر لمدة تزيد على ستة شهور ، وقد بدؤا الآن فى استعمال العطور المتوفره بأسواق أسوان والسودان « أى العطور الجاهزه » .

وهم يهتمون بنظافة الأسنان وذلك باستخدام فروع شجر السلام الذى ينبت بالصحراء « كسواك أو فرشاه » لتنظيف الأسنان من بقايا الأطعمه .

وفى الماضى كانت المراه بعد زواجها تقوم بخلع القاطعين الأماميين من الأسنان العلويه ، وذلك لأنهم يروا فى هذا إضافه جمالية للمراه كما أن لها وظيفة رمزيه وهى الدلاله على أن هذه المرأة متزوجه .

ومازالت بقاي هذا التقليد موجود حتى الآن ، وخاصة بين كبار السن ولكن الجيل الجديد يرفضه سواء من الناحيه الجماليه أو الوظيفية .

٢ ـ الملابس شكلها ووظيفتها :

ملابس المرأه :

كانت المرأه فى الماضى تلبس « الشجه » وهو لباس قبيلة الشلك ويسمى عندهم « اللاوو » ، وهو عباره عن سبعة أمتار من قماش الدمور يلف حول الوسط بحيث يدارى العوره والصدر ثم يلقى بطرفه على الكتف الأيمن وهذا يفرق بين المرأه والرجل حيث أن الثانى يلقى بطرق ثوبه على الكتف اليسرى حتى يترك حرية الحركه لذراعه اليمنى ، وهذا مازال لباس السيدات المعمرات وكبار السن من العبابده والبشاريه وخاصة اللائى يعشن داخل الجبال .

ثم تطور اللباس من حيث الكم ، فأصبحن يرتدين ثلاث قطع وهى :

الروب : وهى قطعه من القماش الأحمر تلف حول الوسط بهدف ستر العوره وكونها من اللون الأحمر بهدف حمايتها من العقم وإصابات الأرواح الشريره .

القميص : وهو جزء علوى يغطى صدر المرأه ويترك مسافه بينه وبين الروب تكون عاريه ويلبس فوقهم « الشجه . وهوبهذا الشكل يشبه الزى الهندى للنساء ، وهذا الملبس منتشراً داخل الصحراء .

بينما نجد أن نساء مرسى علم وهى أكثر مناطق البدو احتكاكاً بسكان وادى النيل يلبسن الملابس المنتشره لدى نساء صعيد مصر .

وتلبس الفتاه الصغيره قميص من الدمور بأكمام قصيره وحينما تبلغ ترتدى الشجه ، ومما هو جدير بالذكر أنه ليس هناك ملابس خاصه للعروس فهى تهتم بلبس الملابس الجديده فى العرس فقط دون اشتراط اللون الأبيض ، كما أنهم أيضاً لا يرتدون اللون الأسود وليس الدلاله الرمزيه الموجوده بوادى النيل باعتباره مظهر للحداد .

ملابس الرجل :

يلبس الرجل « الملاكى » وهو عباره عن سبعة أمتار من الدمور يلف حول الجسم بعد غمسه فى دهن الضأن ليكتسب القوة والليونه ، وكان شيوخهم يلبسون القميص القصير « التكشيته » ، ومع مرور الوقت أصبح لباساً للعامه من البدو ، ثم عرفوا بعد ذلك السروال بوجه وهو السروال الأسكندراق ، وأضحى الكثيرين منهم يلبسون الجلباب المنتشر بالوجه القبلى .

والعريس يرتدى فى عرسه الملابس الجديده المكونه من « العراجيه ـ القميص ـ السروال ـ الصديرى » .

والطفل المولود لا يلبس الملابس المخيطة لمدة أربعين يوماً ، بعدها يلبس قميص قصير من قماش الدمور .

٣ ـ الشعر وتصفيفه والاهتمام به

إحتل تصفيف الشعر كناحية جمالية مكانة كبيره عند الإنسان منذ أقدم العصور ، ويشترك الرجال والنساء فى الاهتمام بالشعر وزينته ، وطبيعة الشعر عند العبابده والبشارية متوسطه بين الناعم والخشن ، مجعد بشكل طبيعى ولكن طريقة تصفيفه تظهره كأنه خشن مفلفل وهو متوسط الطول ، وسوف نعرض لطرق تصفيفه لدى الرجل والمرأه والزينه المستخدمه لتجميله .

المـرأه

هى لا تعرف استخدام المشط أو أى آلة لتمشيط الشعر ، وإنما تستخدم أصابعها فى تمشيطه وتضفيره ، كما أنها لا تعرف المرآه وهذا يستتبع بالضروره وجود إمرأه أخرى تساعدها فى تمشيط شعرها وتزيينه .

ففى الطفوله لا يهتم بالشعر وحينما تبلغ الفتاه سن السادسه أو السابعه من عمرها تضفر شعرها جدائل على الجانبين وتزينه « بالرشرش » أو العجش

وهو الودع الصغير المجدول بالجلد وذلك بهدف الحمايه من الجن ولابد وان تهتم بتضفير شعرها لأن ترك الشعر دون الجدائل يعرضها لنظرة استهجان واحتقار من أفراد القبيلة ، وحينها تستعد للزواج تضاعف زينة الشعر وتستخدم « الشاوشاو » وهو جدائل من الخرز الملون المضفر مع الجلد ويتدلى مع الضفائر على الكتف وتستخدم « الودكه » لدهن الشعر وتغذيته وتتكون من « دهن الضأن ــ قرنفل ــ صندل ــ محلبيه » ولكل عنصر من العناصر المكونه للودكه أهميته ، فالدهن يغذى الشعر ويرطبه والقرنفل والمحلبيه تجعل للشعر رائحة طيبه كما أنها تمنع نمو الحشرات بالشعر .

ومما هو جدير بالذكر أن دهان الودكه يجعل من الشعر كتله متماسكه تبدو كقطعة الحصير مما يحفظ شكل الجدائل لمده طويله .

وبعد الزواج تقوم المرأه بعمل قصه على الجبهة مضفره وتربطها خلف الأذن برباط من الجلد ، وتعتبر القصه وزينة الشاوشاو من الأمور الخاصه بالمرأه المتزوجه والتى تميزها عن الفتاة البكر .

وتتمسك السيده بتمشيط شعرها بهذا الشكل حتى وفاتها ، وانتشر الآن وبشكل محدود لبس « المجُنه » وهى غطاء الرأس من اللون الأسود والابيض .

الرجل

يدهن شعر الطفل الصغير بالودكه وحينما يصل لسن الخامسه يتم حلق المنطقه التى خلف الأذنين وذلك حتى ينمو الشعر فى جزئين منفصلين جزء متجه إلى أعلى والآخر إلى أسفل ويسمى هذا الشكل باسم « هنكل » وحين بلوغ الطفل العاشره يترك شعره ينمو بحيث يصبح كالدائره فوق رأسه ليحميه من حرارة الشمس ، وعند إدراكه لمرحلة الشباب يمشط شعره بشكل « هنكليت » فالجزء الأعلى من الشعر دائرى والجزء الأسفل يضفر بجدائل صغيره ويطال بجلد الإبل ويدهن بالودك ، وعندما يمر بمرحلة كبار السن يضفر السوالف

ايضاً ، وتسمى هذه التسريحه بـ « شكناب » وتضفير السوالف خاصه بالشيوخ وكبار السن فقط .

وقد انتشر بينهم الآن لبس العمامه بعد أن كانت قاصره على قضاة القبيله فقط .

ونستطيع القول أن طريقة تصفيف الشعر لدى رجال ونساء العبابده والبشارية لها وظيفة اجتماعية رمزيه للتفرقه بين الجنسين وبين المراحل لكل منها هذا إلى جانب الوظيفه الجماليه .

٤ ــ تجميل البشرة

ينتشر بين النساء عادة الوشم والشلوخ وهى بهدف الزينه بالإضافه إلى وظيفتها الرمزيه التى تفرق بين الفتاه والسيدة المتزوجه .

الوشم : هو الدق بالإبر على الشفاه وحشوها بالكحل الأسود وتركها لفتره من الوقت حتى تأخذ الشفاه اللون الأسود أو الأخضر الغامق .

الشلوخ : هو قطع الخدود أو الصدر بآلة حاده ثم حشوها بالسجم وهو مسحوق الفحم ، ، وتترك حتى يصبح لونها أخضر .

والنساء توشم الشفه السفلى ، كما انهن يعملن الشلوخ على شكل ثلاث خطوط رأسية على الخدود وأحياناً ثلاثة خطوط أفقية أو رأسية على الذقن .

وهن يستخدمن الكحل لرسم الحواجب وداخل العين ، ويستخدمن الحنه بهدف صبغ الجلد وإعطائه اللون الأحمر ولا تستخدم للشعر إلا فى حالات العلاج من الصداع ، ويكثر استعمالها فى المناسبات كالزواج .

---

٥ ــ الحلى

إن رغبة الإنسان فى التزين بالحلى والتجمل بها تعتبر من أقوى الرغبات تأثيراً وأقدمها عهداً وأكثرها انتشاراً ، ويبدوا أن الحلى كانت تشبع فى الإنسان

نواحي سحرية إذ كثيراً ما كانت الحلى عباره عن تمائم لمنع الأذى و سوء الحظ أو أداة سحرية للتحصن ضد السحر والعين الشريره .

ومن الطريف أن البداية الأولى لاستخدام حلى الأنف والأذن والشفاه كانت بهدف حماية الجسم من الأمراض والأرواح الشريره حيث كان سكان البرازيل البدائيين يعتقدون أن المرض يدخل للجسم عن طريق الفتحات الموجودة به« الأنف ــ الأذن ــ الفم » فلبسوا الحلى فى تلك الأماكن لتكون حارساً على الجسم حتى لا تدخل الفيروسات والميكروبات المسببه للمرض .

بينما زنوج أفريقيا اعتقدوا بأن الروح تدخل إلى الجسم وتخرج منه عن طريق تلك الفتحات فلبسوا الحلى لتكون حارساً أميناً على الروح الموجوده وتمنع دخول الأرواح الشريره للجسم فتؤذى الروح المستقره فيه .

ومع تطور الحضارات تطورت وظيفة الحلى وأصبحت لها الصفة الجمالية والعبابده والبشاريه مولعين جداً بالحلى ، ولكنهم لا يميلون للحلى الذهبية ويفضلون الفضه ، والخرز بأنواعه المختلفه ، وإن كانوا يلبسون الذهب الآن .

وهم يعتقدون أن لبس الفضه والخرز الملون يحميهم من الجن والأرواح الشريره المستقره بالصحراء موطن العبابده والبشاريه ، ويلبسون الحلى الذهبية بهدف العلاج من مرض « المشاهره » الذى يصيب الرجل والمرأه عند الزواج أو الختان ، ويكون العلاج بأن تترك قطعة من الحلى الذهبية على الجبل لمدة يوم أو ثلاثة وذلك فى منتصف الشهر العربى أى فى تمام القمر ثم بعد ذلك يلبسها المريض فيشفى (*) .

(*) مرض المشاهرة : يعتقد البدو أن هذا المرض يصيب الرجل والمرأة إذا مارءوا الشمس بعد الزواج أو الختان فى طفولتهم ، وهذا اعتقادهم وليس له أى سند علمى وهو يرجع إلى العصور الوسطى والتى انتشر فيها عبادة « ايزيس وازوريس»

وتتحلى المرأه بعدد كبير من العقود فى صدرها من الذهب والخرز والفضه وجلد الإبل ، وفى أنفها بالزمام أو الكلتوب ، وعلى جبهتها تضع الدينار وبشعرها الشاوشاو ، وفى ذراعيها تلبس الأساور الفضية والخرزية « من المعصم وحتى أعلى الذراع » ، وفى ساقيها تلبس الأساور الفضيه وتسمى « الخلخال » ، وتربط على وسطها حبل مجدول من الخرز وجلد الإبل .

والرجل يلبس فى صدره عدد من العقود بعضها من الفضه والبعض الآخر من ريش النعام وجلد الإبل ، ويضع فى أذنه اليسرى حلقه صغيره من الفضه ، ويلبس فى أصابعه عدد من الخواتم المنقوشه بنقوش سحريه .

وبدأ الرجل البشارى والعبادى فى المناطق الحضارية والساحلية التخلى عن هذه الحلى ، ولكن مازال البدو داخل الصحراء يحرصون على لبسها .



١٤ ـ الفنون

الفن هو ضرب من النشاط البشرى الذى يتمثل فى قيام الإنسان بتوصيل عواطفه إلى الآخرين عن طريق أشكال الفنون المختلفه . والفن من أقدم الأنشطه التى مارسها الإنسان ، وارتبط فى بدايته بالدين والطقوس الدينية ثم ما لبث أن انفصل عن الدين مع تقدم الحضارات وما من شعب بدائى أو متقدم إلا وله فنونه الخاصه به .

والعبابده والبشاريه باعتبارهم من شعوب شرق أفريقيا نجدهم مولعين بالفن الزخرفى والغناء والرقص حالهم حال معظم شعوب شرق أفريقيا . وسوف نعرض فيما يلى لبعض من فنونهم .

الرقص

دائماً يرقص البدو فى حفلات السمر فى الزواج والميلاد ، وكانوا فى الماضى يدقون الطبول لإعلان الحرب ، أو عند وفاة رجل عظيم الشأن ، ودوماً يأخذ الرقص عندهم صورة المعارك والمبارزات ويتسلح الراقصون بالسيف والرمح والدرع ويخطون وهم يتبادلون الهجوم خطوات منتظمه بخفه وقوه .

والرقص رياضه جماعية يشارك فيه النساء والأطفال والرجال ، وأشهر رقصاتهم رقصة « الاوسيف ـ البيبويت ـ الشكريب » ويسمى الرقص التربله .

الغناء

الأغنية الشعبية فى ابسط معانيها هى قصيدة غنائية ملحنة ، مجهولة النشأة

بمعنى أنها نشأت بين العامه من الناس فى أزمنة ماضية وبقيت متداولة والأغانى لدى بدو العبابده والبشاريه هى من هذا النوع حيث أنه غير معروف مؤلفها وملحنها ، وهى دائماً مصاحبة للرقص وعباره عن مقاطع صغيرة يعاد تكرارها مره بعد الأخرى ، وتدور أغانيهم حول الغزل سواء للمرأه أو الإبل أو للطبيعة ويتغنوا بشجعاتهم فى الحروب وعظمتهم فى الماضى .

الموسيقى

بدو الصحراء الشرقية مولعين بالموسيقى ويعزفونها على آلة الطمبورة ، التى يصنعونها بأنفسهم ، وهم لا يميلون إلى الموسيقى والأغانى المصرية ، ويفضلون الموسيقى والأغانى السودانية ويرجع ذلك إلى أصلهم البجاوى بالإضافة إلى عدم فهمهم للهجة المصرية فى الغناء ، ومما هو جدير بالذكر أن الطمبوره لها خمسة أوتار فقط وهذا معناه أنهم يتبعون فى موسيقاهم السلم الموسيقى الخماسى وهو الشائع فى السودان ، ومما هو جدير بالذكر أن المصريين القدماء كانوا يتبعون هذا السلم فى موسيقاهم .

الأمثال الشعبية

المثل الشعبى هو قول تعليمى مأثور يمتاز بجودة السبك والإيجاز ، وهو حكمة المجموع ومعظم الأمثال الشعبية هى تعبيرات مجازية عن الحياه اليومية ومن أمثلة العبابدة والبشارية : -

ـ من خل بعادته قلت سعادته .

ـ الجمل ما بيشوفش عوجة رقبته .

ـ خذ الطريق وإن دارت وخذ بنت الرجال وإن بارت .

ـ تبير تينى دور بتنى ، وهذا مثل باللغة البشارية ومعناه أن الطائر مره بيوقع مثل الشاطر بجيله يوم يوقع .

ـ توتبيت دور سنهوك .

بمعنى أن من له هدف لابد أن يصل إليه مهما طالت المسافه .

الشعر

الشعر لديهم يسمى بالنميم حيث يتبارز شاعران فى إلقاء الشعر المرتجل على أن يبدأ الثانى بالقافية التى انتهى بها الأول ، وتستمر مبارزات الشعر لساعات طويله يستعرض قدرته على التأليف ، وغالباً ما تكون فى الأفراح والمناسبات السعيدة .

ويدور الشعر حول الغزل فى المرأة والتفاخر بالانساب والانتصارات الحربية وأيضاً فى الإبل .

مثال للشعر باللغة العربية :-

شديت فى هويت الليل وان اتبعت الجره
وأجيب طلباتها لكنز الجواهر الحره
من التين والعنب والبرتقال أبوسره
بجنى الطايه لحين ما تطيب المره

مثال للشعر باللغة البجاويه :-

تليل ترشاله شبى تبتيتك أنا أودور هواد
كواس أيربه توين تمين تمتهال

ومعناه :- كان رجل يجلس مع حبيبته يحادثها ويغازلها ومر وقت طويل لم يشعر به ولم يدركه إلا بعد أن رأى الشمس ساطعه فوق الجبل .

●●

١٥ - سيدى الشيخ أبى الحسن الشاذلى

- نسبه
- صفته
- مولده ونشأته
- كراماته

نسبه رضى الله عنه :

هو الإمام على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن بطال بن على بن أحمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أبى الحسن بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وبن فاطمه الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صفاته رضى الله عنه :

وصفه الإمام العارف بالله ابن عطاء الله السكندرى بقوله (قطب الزمان الحامل فى وقته لواء أهل العيان حجة الصوفيه ، علم المهتدين ، زين العارفين أستاذ الأكابر ، زمزم الأسرار ومعدن الأنوار القطب الغوث الجامع أبو الحسن الشاذلى)

ومن صفاته رضوان الله عليه أنه كان أدم اللون نحيف الجسم طويل القامه خفيف العارضين ، وكان فصيح اللسان عذب الكلام ، يأخذ زينته

عند كل مسجد وكان دائماً يتحلى بالثياب الحسنه ، وكان رضوان الله عليه لا يرى الطريق إلى الله موقوفه على العزله والمرقعات والملابس البالية وإنما بالعلم والمعرفه .

مولده ونشأته :

ولد رضى الله عنه فى قرية « غماره » وهى بالقرب من مدينة سبته بالمغرب الأقصى فى عام **٥٩٣** هـ وظل بقريته حتى شب وتعلم العلوم التجريبية ومنها الكيمياء ، ثم رغب فى تعلم الدين ، فسأل عن قطب الزمان ليتعلم على يديه ، وسافر إلى الكوفه قبلة العلماء فى ذلك الوقت والتقى بالشيخ أبو الفتح الواسطى الذى لم يكن بالعراق مثيل له وقال له « يا على أنت تبحث عن القطب بالعراق مع أن القطب ببلادك ، ارجع تجده هناك ، » وعاد أبو الحسن الشاذلى من حيث أتى حتى وصل إلى بلدته غماره .

ويقول أبو الحسن فى بيان لقائه بالقطب (لما قدمت عليه وهو ساكن بمغاره فى رأس الجبل ، اغتسلت فى عين بأسفل ذلك الجبل وخرجت من علمى وعملى وطلعت إليه فقيراً ، وإذا به هابط إلى وعليه مرقعه وعلى رأسه قلنسوه من خوص فقال لى « مرحباً بعلى بن عبد الله بن عبد الجبار وذكر نسبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لى يا على طلعت إلينا فقيراً من علمك وعملك فأخذت منا غنى الدنيا والآخرة » . فأخذنى منه الدهش فأقمت عنده أياماً إلى أن فتح الله على بصيرتى وقد كان القطب هو الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه .

وقد تعهد الشيخ عبد السلام بن مشيش سيدى أبى الحسن بالرعايه والتربيه النفسيه والروحيه ، ولما حان وقت الفراق قال أبو الحسن لشيخه : أوصنى ؟ فقال له « يا على الله الله ـ والناس الناس ، نزه لسانك عن ذكرهم وقلبك عن التمايل من قبلهم ، وعليك بحفظ الجوارح وأداء الفرائض وقد تمت ولاية الله عندك » .

سبب تسميته بالشاذلى :

قيل أن تسميته بالشاذلى ترجع إلى أنه نزل إلى قرية شاذله بالمغرب فنسب إليها ، وفى قول آخر أن الله سبحانه وتعالى أسماه بالشاذلى فقال رضى الله عنه « يارب لما سميتنى بالشاذلى وأنا لست بشاذلى (أى لست من قرية شاذله) فقيل له يا على ما سميتك باشاذلى ولكن بالشاذُلى بضم الذال ومعناه المتفرد لله عز وجل بالعباده والحب.

شخصيته رضى الله عنه : -

زهـده

روى أنه دخل عليه رجل وعليه لباس من شعر فلما فرغ الشيخ من كلامه دنا من الشيخ وأمسك بملابسه وقال : يا سيدى ما عبد الله بمثل هذا اللباس الذى عليك ، فأمسك الشيخ بملبسه فوجد فيه خشونه فقال له : ولا عبد الله بمثل هذا اللباس الذى عليك ، لباسى يقول أنا غنى فلا تعطونى ، ولباسك يقول أنا فقير إليكم فأعطونى . فضرب سيدى أبو الحسن الشاذلى مثلاً فى الزهد الواعى وأن ليس الزاهد من يلبس المرقع والمتسخ من الثياب .

علمـه

أن الجانب العلمى من العناصر المحدده لشخصية أبى الحسن الشاذلى وخاصة أنه درس العلوم التجريبية قبل أن يدخل ويتبحر فى العلوم الدينية .

ويصل سيدى أبى الحسن الشاذلى إلى الذروه حينما يعتبر الجهل والرضا به من الكبائر ويقول فى ذلك : « لا كبيره عندنا أكبر من إثنتين حب الدنيا بالإيثار والمقام على الجهل بالرضا .

ورغم أن سيدى أبى الحسن الشاذلى إتقن العلوم الدينية والتجريبية إلا أنه لم يؤلف كتاب فى حياته وحينما سئل عن ذلك قال : كتبى أصحابى .

مشاركته للناس فى الحياه والقضايا العامه

يظن بعض الناس أن المتصوفين قوم كسالى ، وأن الزهد مظهر من مظاهر

الضعف إلا أن حياة سيدى أبى الحسن الشاذلى تهدم دعوى أعداء الصوفية وأدعيائها . حيث أنه ظل طوال حياته يعيش بين الناس يدافع عن المظلومين ويدعو إلى سبيل الله بالحكمه حتى جاءت الحروب الصليبيه ومعركة المنصوره ، والمصريين كلهم يستعدون لملاقاة العدو وعلى رأسهم الظاهر بيبرس ومصر تضم بين علمائها علماء أفاضل لهم مكانتهم العلمية وعلى رأسهم العز بن عبد السلام ومجد الدين القشيرى ومحى الدين إبن سراقه وأبو الحسن الشاذلى وآخرين كثيرون ، فلم يستقر هؤلاء العلماء بعيداً وإنما ذهبوا لملاقاة العدو والجهاد فى سبيل الله بين صفوف المجاهدين فى المنصوره ، على الرغم من أن العارف بالله سيدى أبى الحسن الشاذلى كان فى آخر عمره وقد هرم وكف بصره إلا أنه لم يتأخر عن المشاركه فى الحرب ولو بالكلمة وتذكير الناس بالنصر أو الشهاده فى سبيل الله ، وقد نصر الله المسلمين نصراً مؤزراً فى معركة المنصوره وأسر الملك لويس .

ولقد كانت إقامة الشيخ فى مصر فترة إستقرار مادى ومعنوى ، ولقد كانت مصداقاً لما بشر به عندما دخل مصر « يقول رضى الله عنه لما قدمت الديار المصرية قيل لى يا على ذهبت أيام المحن وأقبلت أيام المنن ، عشر بعشر إقتداء بجدك صلى الله عليه وسلم » .

وفاتـه

فى شهر شوال لعام ٦٥٦ ه سافر الشيخ إلى الأراضى الحجازية عبر الصحراء الشرقية فلما وصلوا إلى صحراء عيذاب جمع الشيخ أصحابه فى وادى حميثره وأوصاهم ، ثم خلا بأبى العباس المرسى رضى الله عنهما واختصه بما خصه به الله من البركات ثم وجه حديثه لأصحابه قائلاً « إذا أنا مت فعليكم بأبى العباس المرسى فإنه خليفة من بعدى وسيكون له بينكم مقام عظيم وهو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى .

وانتقل سيدى أبى الحسن الشاذلى إلى جوار ربه فى تلك الليله وقام بموارة جسده للثرى سيدى أبى العباس المرسى فى وادى حميثره بصحراء عيذاب بالجزء الجنوبى من الصحراء الشرقية موطن العبابده والبشاريه .

كـراماته

الكرامه هى أمر خارق للعاده يظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح إكراماً له ، والكرامه تظهر للولى فى نفسه أو تظهر فيه لغيره ، فإن ظهرت للولى فى نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله وأن قدرته لا تتوقف على الأسباب ، وكان الشاذلى رضى الله عنه يقول « لا تعطى الكرامات لمن طلبها وحدث بها نفسه ، وإنما يعطاها من لا يرى نفسه ولا عمله وهو مشغول بمحبات الله تعالى .

ومن كراماته أنه لما كف بصره قال لأبى العباس المرسى « يا أبى العباس انعكس بصرى فى بصيرتى فصرت مبصراً . كم يبلغ عمرك الآن ؟ فقال يوشك أن يكون ثلاثين سنه فقال له الشيخ بقيت عليك عشر سنوات وترث القطبانية الصديقيه من بعدى وكان وقتها عام ٦٤٦ ه وقد توفى الشيخ الشاذلى عام ٦٥٦ ه .

ومن كراماته أيضاً أنه ليلة وفاته طلب من ابنه محمد أن يسقيه من البئر الموجود حالياً بالقرب من مقامه فقال له : يا سيدى ماؤ ها مالح فقال له الشيخ أئتنى منها فإن مرادى غير ما تظن فأتاه بالماء فشرب منه ومضمض فمه ثم قال : أردده إلى البئر فحلى ماء البئر وكثر بإذن الله تعالى .

مظاهر الاحتفال بمولده :

أنظر ملاحق الصور

●●

١٦ ـ السيدة ذكية عبد المطلب بدوى

ـ نسبها رضى الله عنها
ـ مولدها ونشأتها
ـ سيرتهـا

نسـبها :ـ

هى السيدة ذكيه عبد المطلب بدوى مجاهـد وترجـع بنسبها إلى جـدها السابع والعشرون سيدنا على زين العابدين الذى يرجع نسبه إلى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

مولدها ونشأتها :ـ

ولدت عام ١٩٠٠ م بقـريه ميت مرجه سلسيـل ـ المنزلـه ـ محافظة الدقهلية لوالدين عرفا بالتقوى والصلاح وكان والدها عالماً بالأزهر الشريف ، وتولت رعاية إخوانها بعد وفاة والدتها ، تزوجت فى سن متأخره من الشيخ المهدى وأنجبت منه إبنتها الـوحيده « نفيسـه » بعد ثمـانية عشر عامـاً من الزواج ، تتلمذت مع زوجها على يد الشيخ « عبد الرحيم مصطفى » وتفقهت فى علوم الشريعة الإسلامية .

سيـرتها :ـ

كانت فى طفولتها تحرص على أداء الفروض ، وأحبت الله سبحانه وتعالى إلى درجة العشق الإلهى ، ويحكى أنها بعد أن أنجبت إبنتها الوحيده بعد فتره طويله من الزواج شعرت بحب إبنتها يتغلغل فى قلبها ، فدعت الله سبحانه

وتعالى أن يحول بينها وبين هذا الحب الجديد الذى سيشغلها عن حب الله ، واستجاب الله لها وتركت إبنتها لزوجه زوجها لترعاها ، وعاشت هى فى حب الله .

وعاشت السيدة ذكية فى حب الله وفى طاعته ، وشاء الله أن يفيض على هذه الطفله من نور والديها فأضحت تبشر بأمور غيبية تتحقق ، وفى إحدى المرات كانت تجلس مع والدها فقالت لـه « طلق أمى » واندهش الـوالدين لكلام الطفله ، وذهبا الإثنين إلى شيخهم « الشيخ مصطفى » يأخذون برأيه فى هذا الكلام ، وكانت المفاجأه إن أيد الشيخ هذا الكلام وقال « أن الشمس لو طلعت فى مكان واحـد لأحرقتـه » وهذا معنـاه أن الزوجـان من الأولياء ووجودهم معاً يعد تجميع للنور الربانى فى مكان واحد وافتراقهم عن بعض هو نشر لهذا النور ، وفعلاً تم الطلاق ، ورحلت السيدةذكية عن بلدها وجاءت إلى القاهرة وعاشت إلى جوار مقام سيدنا الحسين رضى الله عنه ، وأنشأت « ساحه » بحى الطبلاوى تستقبل فيها الـزائرين لأوليـاء الله وطلاب العلم وعلماء الدين من كافة أرجاء العالم العربى لمناقشة أمور الدين والتفقه فيه . كما كانت تستضيف المرضى وترعاهم حتى يتم شفاؤهم ، وأيضاً المتعبين نفسياً والمحتاجين مادياً ، وظلت طوال حياتها تسعى للخير وتدعو إليه وتدعمه بمالها وجهدها حتى آخر حياتها .

وكانت حريصة على زيارة مقام سيدى أبى الحسن الشاذلى بوادى حميثره بالصحراء الشرقية منذ عام ١٩٦١ ، وظلت مداومة على زيارته حتى قررت فى زيارتها عـام ٨١ أنشاء سـاحة بجوار سيدى أبى الحسن الشـاذلى ، وحـاول الكثيرون أثنائها عن هذا العمل ، ولكنها أصـرت ورأت أن الضرورة تحتم أنشاء ساحه بتلك الصحراء لأنه سيكون لها دوراً خطيراً فى مسـاعـدة البدو وتعمير المنطقة وتشجيع زوار سيدى أبى الحسن الشاذلى على زيارته .

ويبدأ العمل فى بناء الساحه عام ١٩٨١ وفى عام ٨٢ صدر قرار من محافظة البحر الأحمر بإعتماد المنطقه وأنشاء قرية للسياحه الدينيه وسميت بقرية الشيخ الشاذلى .

فكان إصرار السيدة ذكية على بناء الساحه بوادى حميثره بداية لفتح كبير من الخير والرواج بالنسبة للمنطقة عامة وللبدو خاصة .

وانتقلت السيدة ذكية إلى جوار ربها فى التاسع والعشرون من شهر صفر لعام ١٤٠٤ ه ، ودفنت بمدفنها الخاص بساحتها بوادى حميثره إلى جانب سيدى أبى الحسن الشاذلى .

ويواصل أبناؤ ها الروحيون ومريدوها ما بدأته حيث تم استكمال الساحه وأنشأ ساحة جديدة تحت التشطيب الآن ، حتى يستطيعوا القيام بواجبات الضيافه لزوارها وزوار الشاذلى على الوجه الأكمل . ويحرص أبناؤ ها على إقامة مولدها وحضوره والاستمرار على نهجها فى الدعوه للخير .

منهج السيدة ذكيه للدعوه الإسلامية

كانت السيدة ذكيه تدعو أبنائها وتربيهم على خمس أسس هامه وهم « الصبر ـ سعة الصدر ـ الاجتهاد ـ الامتثال لقضاء الله ـ التسليم المطلق لله فى كل الأمور صغيرها وكبيرها » وكانت توصيهم بطاعة الله وأداء الفروض الإسلامية وحب الخير والسعى إليه ومساعدة المحتاج والسعى فى خير الناس .

كـرامتها

كرامات السيدة ذكيه كثيره ، ولكنها لم تكن تفصح عنها وكان يلاحظها أبناؤ ها الروحيون ، وعلى الرغم من قدرتها على الكشف (وهى القدره على معرفة بعض الأمور ـ المستقبليه والذى يسمى عند المتصوفين بالجلاء السمعى البصرى) إلا أنها كانت تقول دائماً « أن الكشف أدنى مراتب الولاية » .

ويحكى أنها فى عام ١٩٧٩ سافرت ومعها بعض أولادها الروحيون لزيارة سيدى أبى الحسن الشاذلى وبمجرد وصولهم لوادى حميثره وقبل أن يستريحوا

طالبتهم بإعداد أنفسهم للعوده ، وحاولوا إقناعها بالجلوس حتى يستريحوا من عناء الطريق حيث أن السفر من القاهره إلى سيدى أبى الحسن يستغرق أربعة وعشرون ساعة متواصله ولكنها أصرت إصراراً شديداً على الرحيل ، وفعلاً رحلوا وبمجرد وصولهم إلى مدينة إدفو علموا أن السيول هطلت وقطعت الطرق بين الصحراء والمدن (تلك السيول التى أغرقت مدينة قنا والقصير فى هذا العام) ولولا إصرار السيدة ذكية على الرحيل من وادى حميثره لهلكوا هناك من الجوع والعطش وربما الغرق .

ومن كراماتها أيضاً أنها فى إحدى السنوات استعدت للسفر للأراضى الحجازية لأداء فريضة الحج ووعدت إحدى بناتها الروحيون السفر معها للحج ، ولكن الرجل الذى أخذ جواز سفر هذه السيدة ليأتى لها بالتأشيره سافر وانشغل فى عمله ، وجاء وقت السفر وخرجت السيدة ذكيه متجهه للمطار ومعها تلك السيدة التى لا تحمل جواز السفر ولا تذكرة الطائرة ودخلوا المطار وصعدوا للطائره وطارت الطائره ووصلت مطار جده وخرجوا منه وأصبحوا داخل الأراضى السعودية دون أن يسأل أحد تلك السيدة عن بسبورها ولا عن تذكرة الطائره سواء فى مطار القاهرة أو فى مطار جده ، وهناك حاولت السيدة ذكيه أن تستخرج جواز سفر لهذه السيدة ولكن قابلتها صعوبات كثيره ، فقررت العوده بنفس الطريقه التى سافروا بها وفعلاً تم العوده لمصر بعد انتهاء موسم الحج ، وكانت هذه كرامة أجراها الله على يد السيدة ذكية .(*)

(*) ملحوظة : هذه السيدة لازالت على قيد الحياه ، شاهده على تلك الكرامة وأيضا كل أولاد السيده ذكيه الروحيون فى أرجاء مصر والعالم والعرب يعلمون الكثير والكثير من كراماتها والتى تحتاج مجلدات حتى تدون ، ولكن السيدة ذكية لم تكن تحب أظهارها .

١٧ـ مستقبل الصحراء

قامت محافظة البحر الأحمر والتى اهتمت باتباع الأسلوب العلمى فى التنمية وتوطين البدو بإنشاء خمس قرى على امتداد الساحل وداخل المنطقة الصحراويه بهدف تجميع البدو فى مناطق محدده حتى يسهل تقديم الرعاية الصحية والاجتماعية لهم ، لأنه كما عرفنا أن البدو لا يعيشون فى تجمعات بل منتشرين داخل الصحراء ، والقرى التى تم إنشائها هى :-

١ ـ قرية الشلاتين وتقع على الحدود الإدارية بين مصر والسودان .

٢ ـ قرية الشاذلى وهى بوادى حميثرة جنوب مرسى علم بحوالى ١٥٠ ك . م .

٣ ـ قرية أم الحويطات وتقع داخل الصحراء بين قنا والقصير .

٤ ـ قرية وادى الخريط وهى على الحدود الغربية للصحراء الشرقية ومتاخمه للقرى النوبية فى كوم أمبو ، والعبابده المستقرين بها يمارسون الزراعه .

٥ ـ قرية مرسى علم وتقع جنوب القصير بحوالى ١٣٣ ك . م .

وكل قرية تضم مجلس محلى ومدرسة ووحده صحية ووحدات سكنية للبدو ، وتتولى المحافظة نقل المياه الصالحه للشرب والمواد التموينية لتلك القرى ، كما قامت برصف الطرق الرئيسية والتى تيسر عملية إختراق الصحراء ومنها (الطريق من الغردقه وحتى أبو رماد فى السودان ـ طريق سيدى أبى الشاذلى) .

والصحراء الشرقية ثرية غنيه بالمواد التعدينية وتقوم هيئة المساحه

الجيولوجية باستخراجها والبحث عنها فى دروب الصحراء ، ومنها الفوسفات وتقوم على إستخراجه وتصنيعه وتصديره شركة النصر للفوسفات وهناك العديد من مناجم الذهب فى الفواخير والبرامية وعتود ، وهناك الكثير من المعادن مثل الحديد والقصدير وقد تم إنشاء مصنع لإنتاج القصدير بمنطقة مرسى علم هذا بالإضافه إلى محاجر الرخام المنتشره على طول الصحراء .

والمنطقة سيكون لها مستقبل مشرق وخاصة بعد اهتمام الدوله بها واستكمال إنشاء بقية القرى المدرجه فى خطة عمل محافظة البحر الأحمر والتى سوف تساعد على تجميع البدو واستقرارهم وبالتالى ستعمل على جذب سكان وادى النيل إليها حيث فرص العمل فى شركات التعدين أو فى مجال السياحه والتى سوف تبدأ مشروعاتها على ساحل البحر .

●●

الصحراء والبدو

حياتهم . . ملابسهم . . زينتهم

وطقوسهم من خلال الصور .

حينما تهبهم الطبيعة الخير كله



حينما تهطل الأمطار وتباركهم السماء وتفيض عليهم بالخير ، فينمو شجر السنط والسيال بالصحراء القاحله فتتحول إلى واحة خضراء ، فيكون الخير كل الخير لهم ، فمن تلك الأشجار تأكل حيواناتهم ومن يابسها يوقدون النار لطهى غذائهم ، وبها يستظلون هم وأغنامهم .

شجر السيال له وظيفة



ومن ثمار شجرة السيال والتى يسمونها « الارد » يدبغون الجلود « جلود الضأن والماعز والإبل » ليستخدمونها بعد ذلك فى عمل قربة الماء والأحذية « المركوب » أو الأحزمة « الكمر » لحمل السيوف والخناجر وعمل الطار « الدف » لعزف الموسيقى وكذلك آلة السمسية ، وفى الماضى كانوا يلبسون الجلد المدبوغ ، وما يفيض عن حاجاتهم يبيعونه فى سوق دارو .

المغارة هى الحصن ضد تقلبات المناخ والطبيعة



الصحراء الشرقية تتميز بسلاسل جبلية متصله وممتده بطول الصحراء وموازية لساحل البحر الأحمر ، وهى فقيره فى آبارها وأيضاً فى الكهوف الجبلية والتى كان العبابده والبشاريه يستظلون بها ويعيشون فيها لتؤمنهم من شر الخلاء وتقيهم الحرارة والبروده الشديده .

وقد أطلق علماء الحمله الفرنسية على العبابده إسم « سكان الكهوف » وحينما لم يجدوا الكهوف متاحه لهم ، كانوا يقيمون كهوفاً من عظام السلاحف

البحرية ، والصوره توضح لنا أحد المغارات التى تسكنها أسرة عباديه وعلى بعد منها نجد براميل المياه .

إن لم يجد المغارة لجأ إلى بطن الجبل يحتمى به



وإذا لم يجد البدوى المسكن الذى توفره له الطبيعه فإنه يلجأ إلى بطن الجبل ويقيم مسكنه والتى يسمونها « الخيشه » ويراعى فى المكان أن يكون بعيداً عن منازل السيول وعن الآبار وطرق السيارات ، ونادراً ما نجد أكثر من خيشة فى مكان واحد وأقل بعد يفصل بين الخيشه والأخرى يصل إلى عشرين ك . م .

مسكنهم إسمه الخيشه



مسكنهم إسمه الخيشه وهو ذلك الذى يظهر على يسار الصوره وهو يمتاز بسهولة حله وتركيبه ويتركب من جزئين رئيسين هما الهيكل من أغصان الأشجار والأغطيه من الحصير وهو نوع من الحصير ضيق المسام لحماية الكوخ من حرارة الشمس والأمطار يصنع من سعف النخيل ويسمى « آلبرش » وغالباً ما يكون غطاء الهيكل من بقاي الملابس القديمه ، ويربط الحصير فوق هيكل الخشب بالحبال السميكه التى تستخدم أيضاً فى ربط أجزاء الخيشه فوق ظهور الإبل عند الارتحال ، ويتراوح إرتفاع الخيشه ما بين متر ونصف إلى

مترين ونصف ، ودائماً ما يكون اتجاه باب الخيشه ناحية الشرق ويتم تعديل وضع الخيشه تبعاً لاتجاه الرياح . أما الكوخ الذى يظهر على يمين الصوره ويسمونه « البيت » وهو من الواح الخشب الحبيبى وتقيمه الأسرة المستقره على الساحل وغالباً ما يكونوا من الصيادين ، وهم لا يشترون الخشب ولكن يجمعونه من على الشاطىء حيث تلقى به الأمواج من مخلفات المراكب والسفن الكبيرة التى تعبر البحر الأحمر .

داخل الخيشه



أثاثهم بسيط للغاية يحتوى على الحمول « وهى نوع من السجاد المصنوع من صوف الإبل والضأن أو بقايا الأقمشه » وصندوق من الخشب لحفظ الملابس وكثيرا ما يحل محله كيس من القماش ، وأوانى المطبخ قليلة منها القدور والصاجه لعمل الخبز عليها وبعض الأكواب

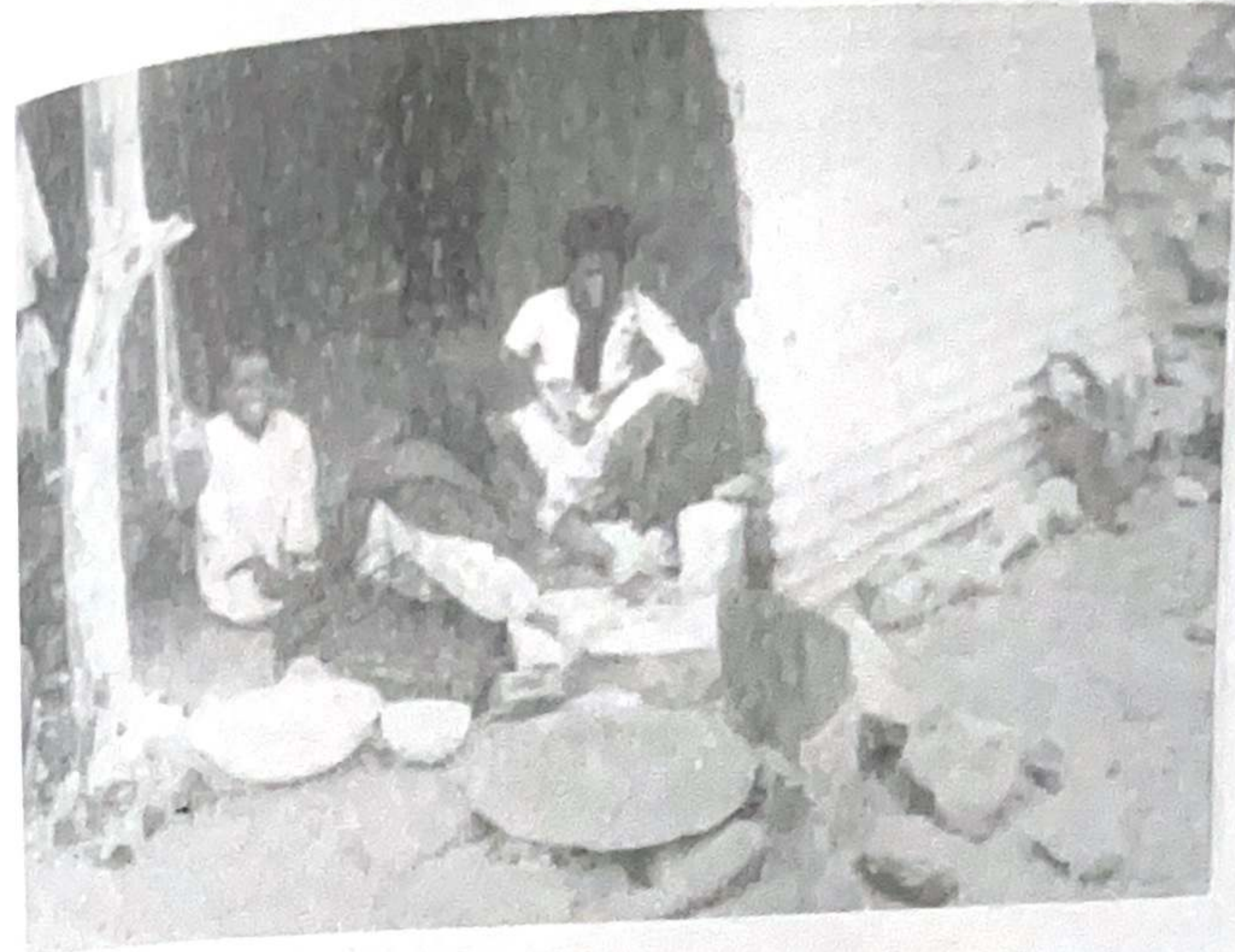
وابريق الشاى وعدة الجبنه بالإضافه إلى البراميل التى يحفظون فيها المياه وأثاثهم البسيط ضروره تتفق وطبيعة الترحال .

أوانيهم



تمتلك كل أسرة عدد من القدور الكبيره والتى يستخدمونها للإعداد وإنضاج لحم الذبائح ، واللحم غذاء مهم لهم ، ولكنه ليس بدائم فغالباً ما يكون على فترات لأن الذبح غالبا ما يرتبط بالمناسبات كالأفراح والميلاد والوفاه والنذور والكرامات .

إعداد الخبز



الخبز غذاؤ هم اليومى ولديهم نوعين منه الأول ويسمى « الرضاف » ويتم بوضع رغيف العجين على الرمل الساخن ويوضع فوقه الفحم المشتعل ويترك حتى ينضج ثم يقلب على الوجه الآخر . والنوع الثانى ويسمى « الدوكه أو السناسه » وهو يشبه « الرقاق » ويتم فرد العجين بعصا ثم يوضع فوق صاجه دائرية الشكل على الفحم المشتعل ويقلب حتى ينضج ، وما نراه فى الصوره هو طريقة إعداد خبز السناسه ، ويأكلونه بمفرده أو يضعونه فى مرقة اللحم ويسمى فى هذه الحاله بـ « صد فى صد » وهى تشبه الثريد .

إعداد العصيدة



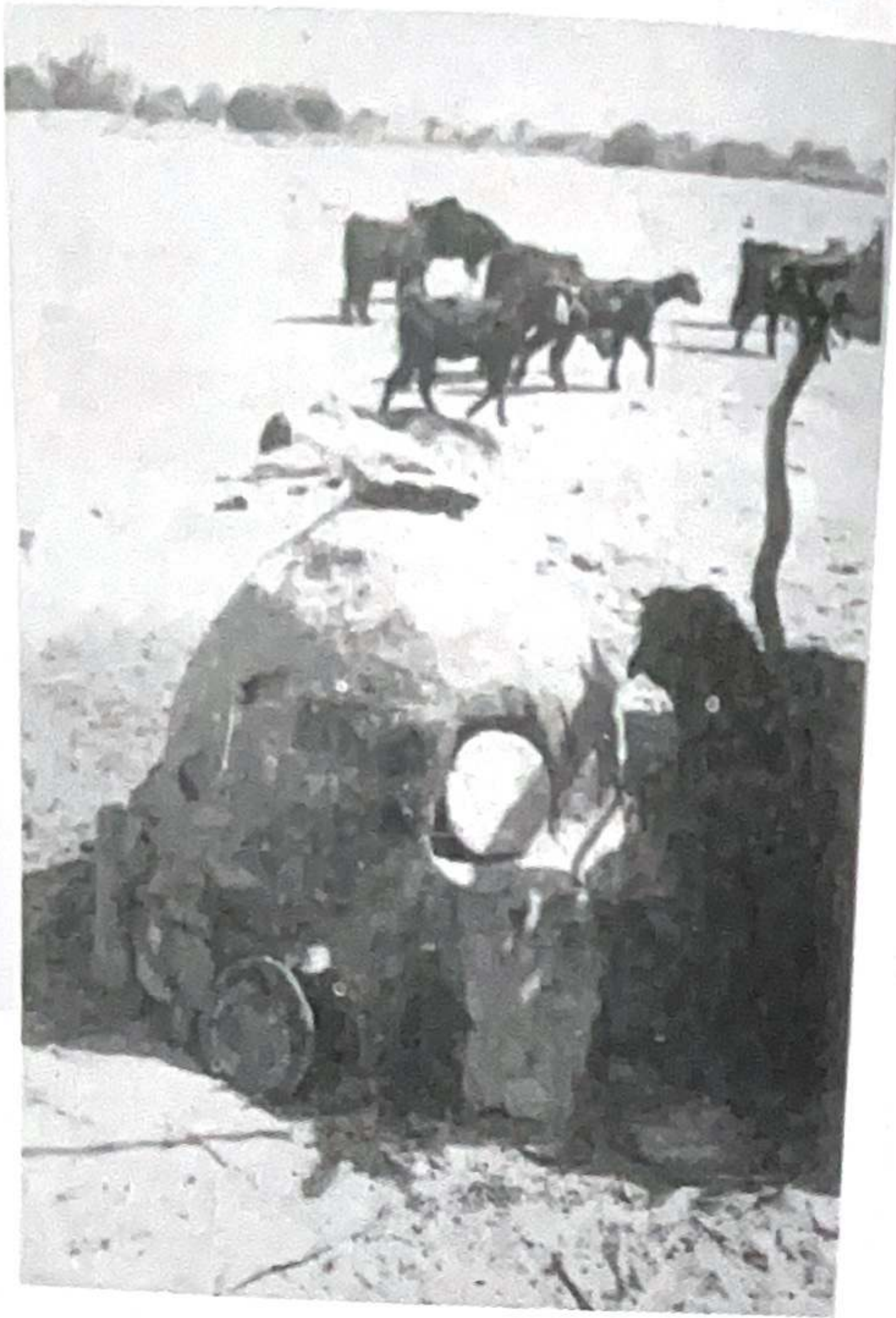
يعدون العصيده والتى تعتبر غذاؤ هم الرئيسى ، وتتكون من الدقيق والماء والملح ، ويضعونها على النار لتنضج ، وفى رخائهم ومع وفرة المرعى واللبن يستبدلون الماء باللبن .

الذبح

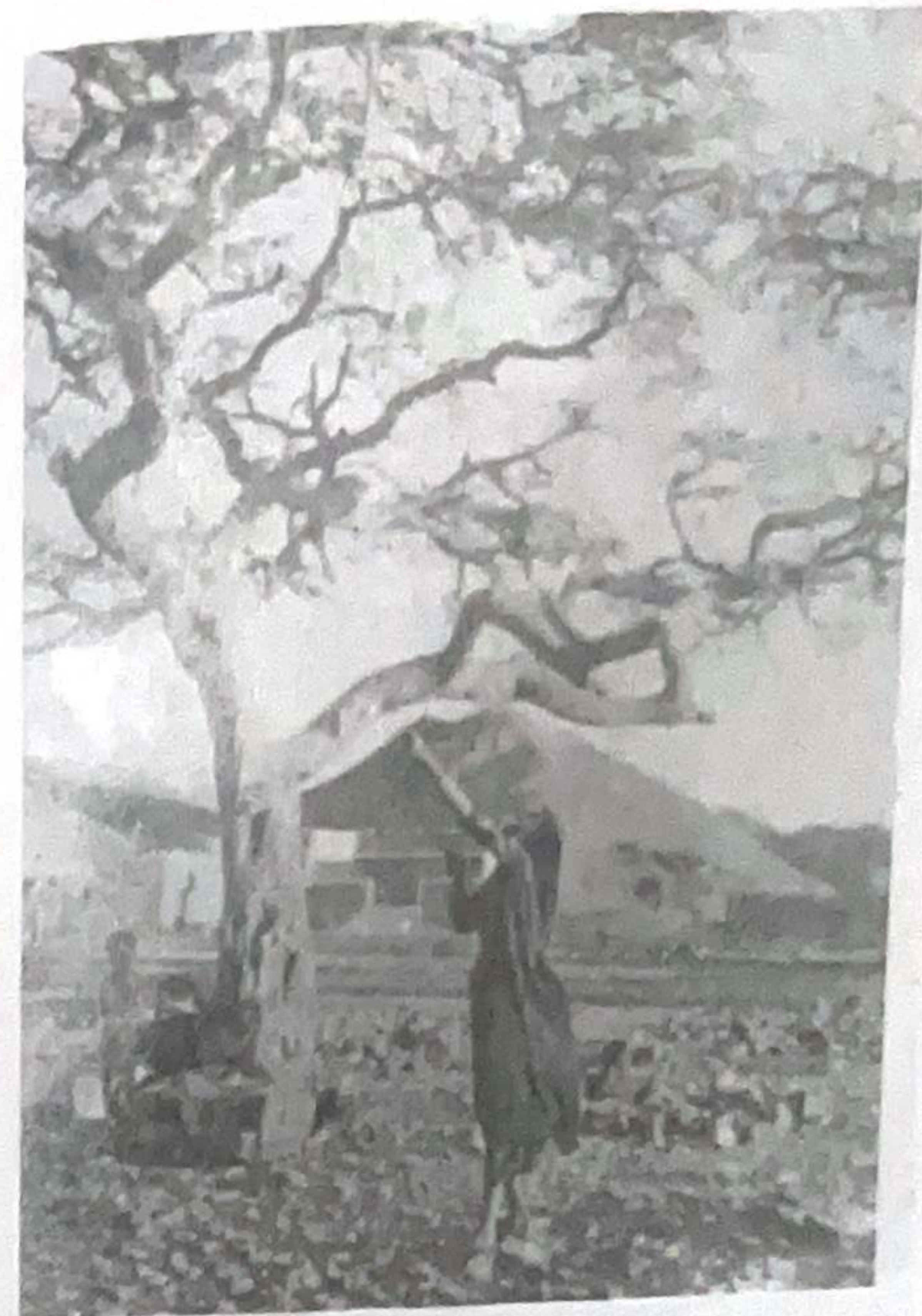


اللحم أو « الشات » باللغه البجاويه ، يجتمع البدو لحضور « الكرامه » وهى الحفله التى تقام عند الزواج أو السمايه أو الختان ، والكل يتعاون فى الذبح وإعداد اللحم وطهيه وخاصه الشواء والذى يسمى لديهم « سلات » ويتم شوى اللحم على حجارة البازلت بعد أن يشعلوا فيها النار وتسخن ، ويكون طعمها شهى .

مواقد البدو



والبـدو لا يعرفـون المواقـد المعروفه بالمدينه وإنما يجمعون الأعشاب والأخشاب من الأشجار التى بدت تجف ، ومن المحذور لديهم قطع الأشجار الخضراء ، وهذا الحذر يرجع إلى أن الغصون الخضـراء هى غذاء الحيـوان وعليهم ألا يقربوها وإنما يقطعون الغصون الجافه تماماً والتى تصلح للوقود ،



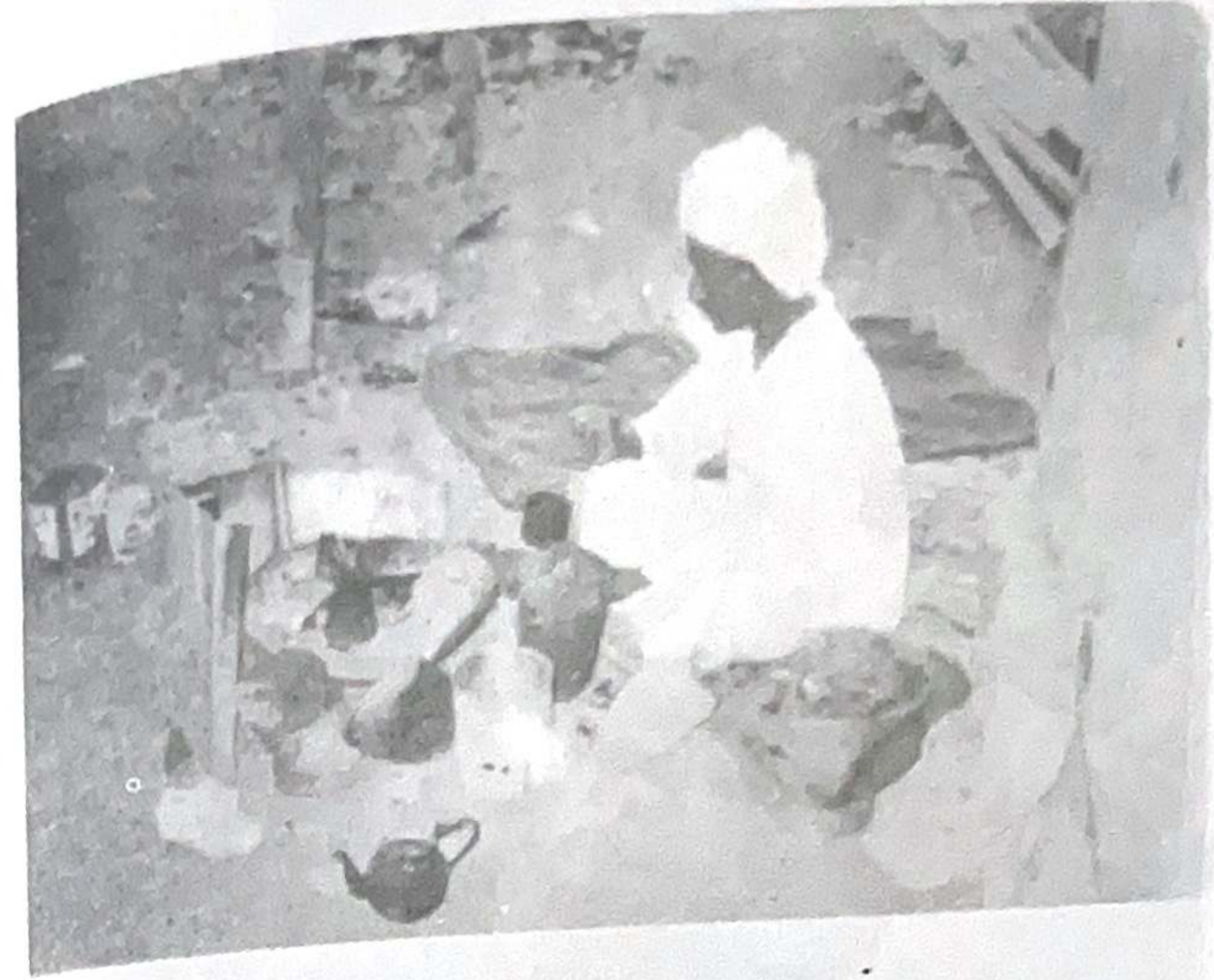
والصوره اليمنى توضح لنا فتاة تقطع الفروع الجافه من الشجره مستخدمه فى ذلك عود الحديد ، وقد عرف البدو الفرن المبنية من روث الأغنام ، ونجدها فى الأماكن القريبة من الريف .

البدو يتناولون غذائهم



يتناولون طعامهم بأيديهم ولا يعرفون الملعقة ، ويستخدمون السكين فى تقطيع اللحم أثناء الأكل إلى قطع صغيره وفصل اللحم عن العظم ، ومن عاداتهم ألا تأكل المرأه مع زوجها ولا يأكل المضيف مع ضيوفه بل يقف على خدمتهم .

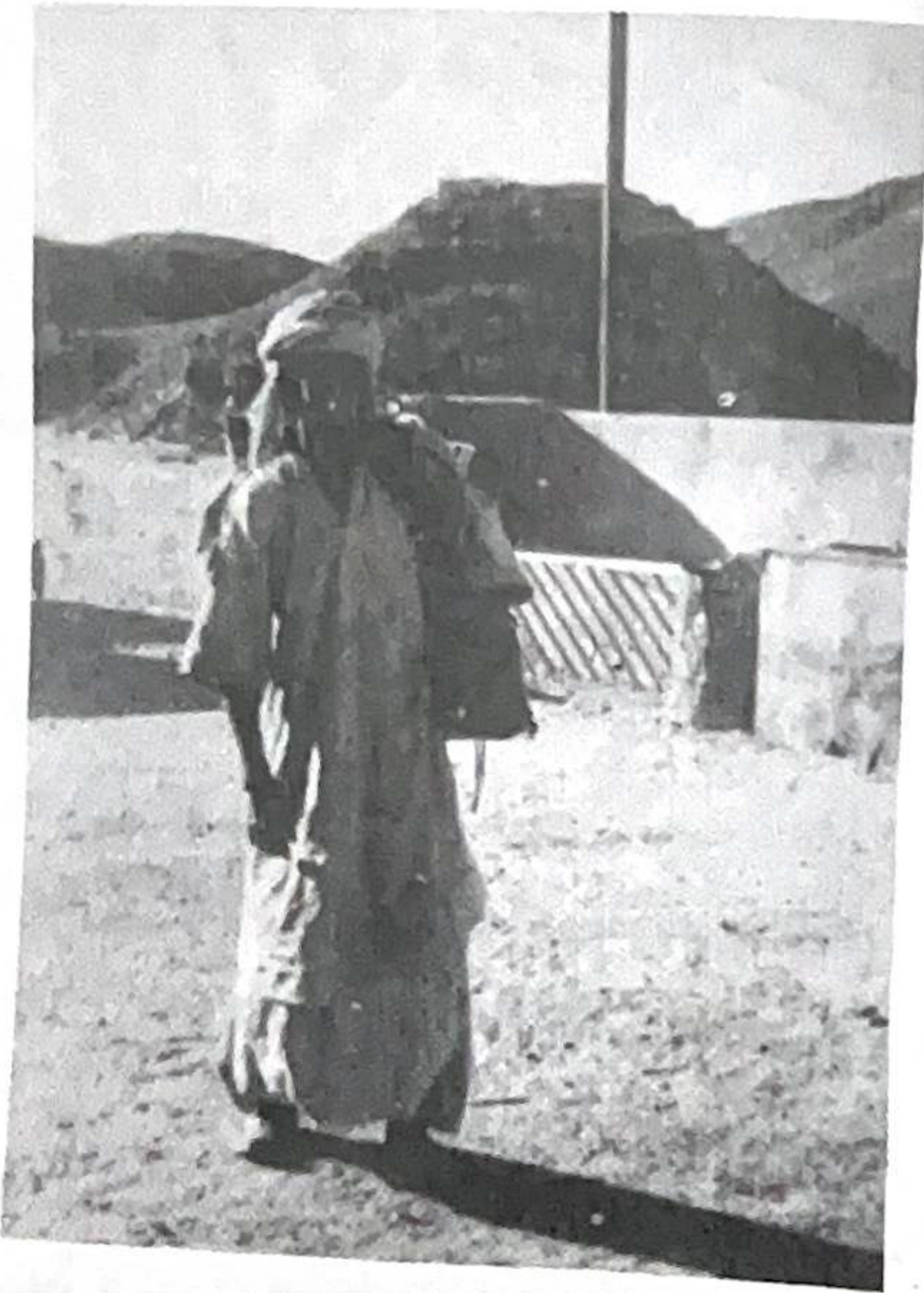
صناعة الجبنة



مشروبهم الأساسى هو « الجبنه » بفتح الجيم وهو القهوة ، ويتم عمله على خطوات فى وجود الضيوف ، وتبدأ بتحميص البن ثم دقه فى الهون ويترك ليبرد على « هبابه » وهى مشغوله من سعف النخيل ويسمى البن بعد طحنه بـ « سيبوديت » وبعد غلى الماء يوضع فى « الجبنه » وهو إناء من الفخار يشبه القله الصغيره ومصنوعه من الفخار السودانى ، ويضاف إلى الماء البن والقرفه والجنزبيل وأحياناً حبات من الفلفل الأسود ، وتوضع على النار حتى تنضج ، ثم يضعوا قطعة من لوف النخيل فى فوهة الجبنه لتصفية البن وتصب القهوة فى فناجين صغيره بدون يد .

وتشرب الجبنه لعدد إحدى عشره مره ولا يصح أن تعتذر عن تناولها ، وإذا أردت أن تستكفى فلابد أن يكون بعدد فردى ، ومما هو جدير بالذكر أن إعداد مشروب الجبنه يستغرق وقتاً طويلاً ؟ ويعلل البدو سبب ذلك وهو إتاحة الفرصه لإعداد الطعام للضيوف ، فالرجل يجلس مع ضيوفه يعد الجبنه والنساء تعد الطعام . والجبنه هو المشروب الذى يقدم فى حفلات السمر والزفاف ، والآن وقد عرفوا الشاى كمشروب جديد عليهم ولكنهم لا يميلون إليه كثيراً ، بالإضافة إلى أنهم يشربون حلف البر والحرجل بعد غليه مع إضافة السكر إليه .

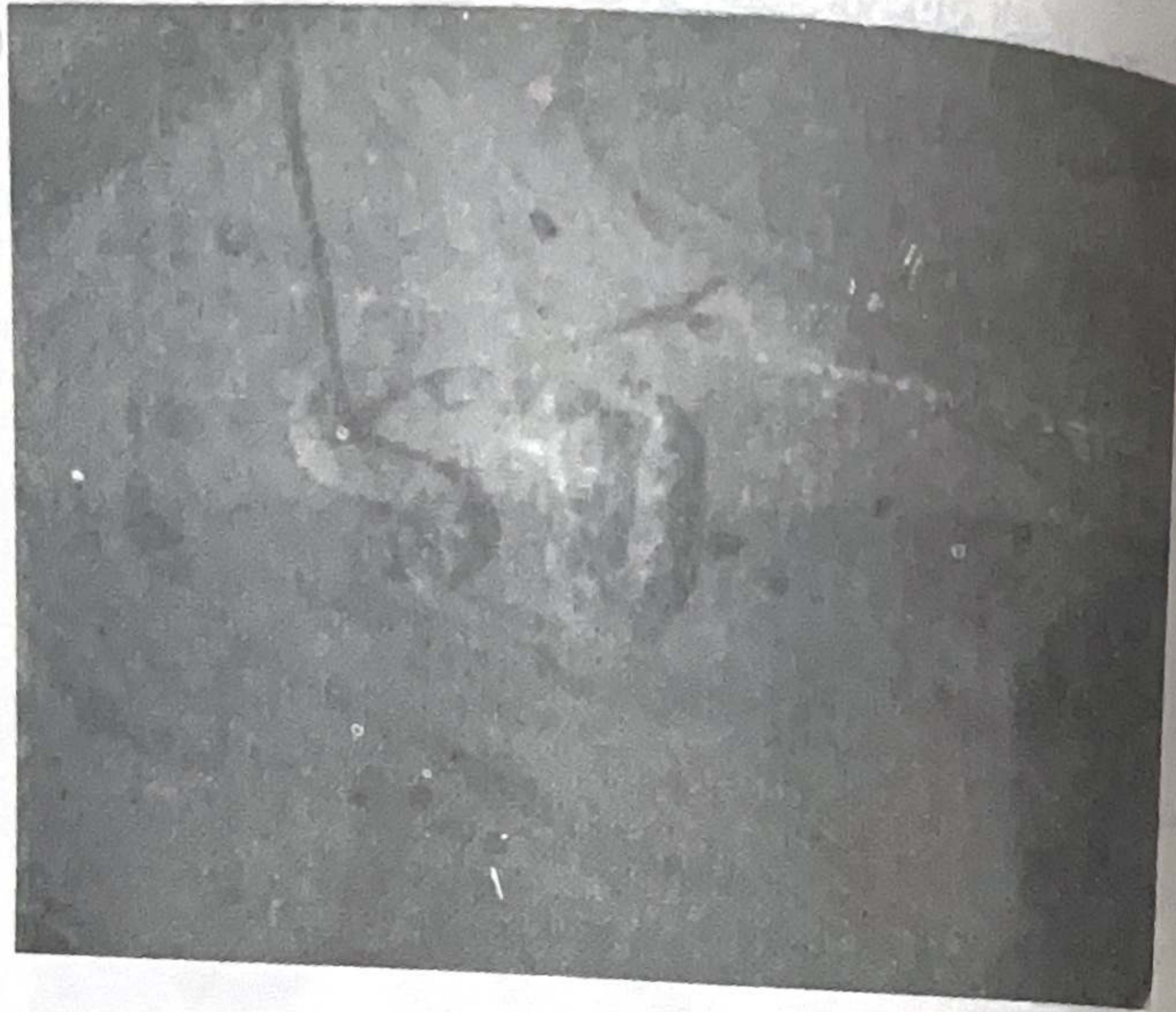
الماء والبئر



لأن بيئتهم فقيره فى مياهها فهم يتكبدون المشاق فى سبيل الحصول على الماء ، ويوجد العديد من الآبار فى الصحراء الشرقية ولكن الكثير منها جف وبعض منها عذب ماؤها والقليل ماؤه عذب ، فإذا كان البئر على مقربة خمسة أو ستة ك . م . فإن الرجل يسعى على قدميه حاملاً القربـه وهى من جلد الشاه الصغيره « إلى البئر لينقل بها الماء إلى مسكنه ، فهم لا يحبون السكن أو الإقامه بجوار الآبار لأن البئر دائماً تكون ملاذاً للمارين بالصحراء بالإضافه إلى الحيونات « الثعالب ـ الذئاب » والثعابين الكبيره ، لذلك فهم يؤثرون البعد عن البئر حتى لوكلفهم هذا مزيداً من التعب والمشقه فى نقل المياه . أما إذا كان البئر بعيداً فإنهم يجلبون الماء على ظهور الإبل ، والكميات التى يجلبونها قليلة بالنسبه للمسافه التى يقطعونها ، فهم يأخذون ما يكفيهم دون طمع حتى يتركوا لجيرانهم ورواد البئر شىء من الماء .

وقد رأيت إمرأة عجوز تعيش بمفردها بمنطقة الجلعان وهى تبعد عن البئر بحوالى ١٦ ك . م . تخرج مع شروق الشمس على ظهر ناقتها متجهه للبئر وتملأ قربتين من الماء وتعود لمسكنها مع غروب الشمس ، وتلك العجوز تقوم بهذه الرحله مرتين فى الإسبوع لجلب الماء اللازم لها ولناقتها .

وحش الصحراء

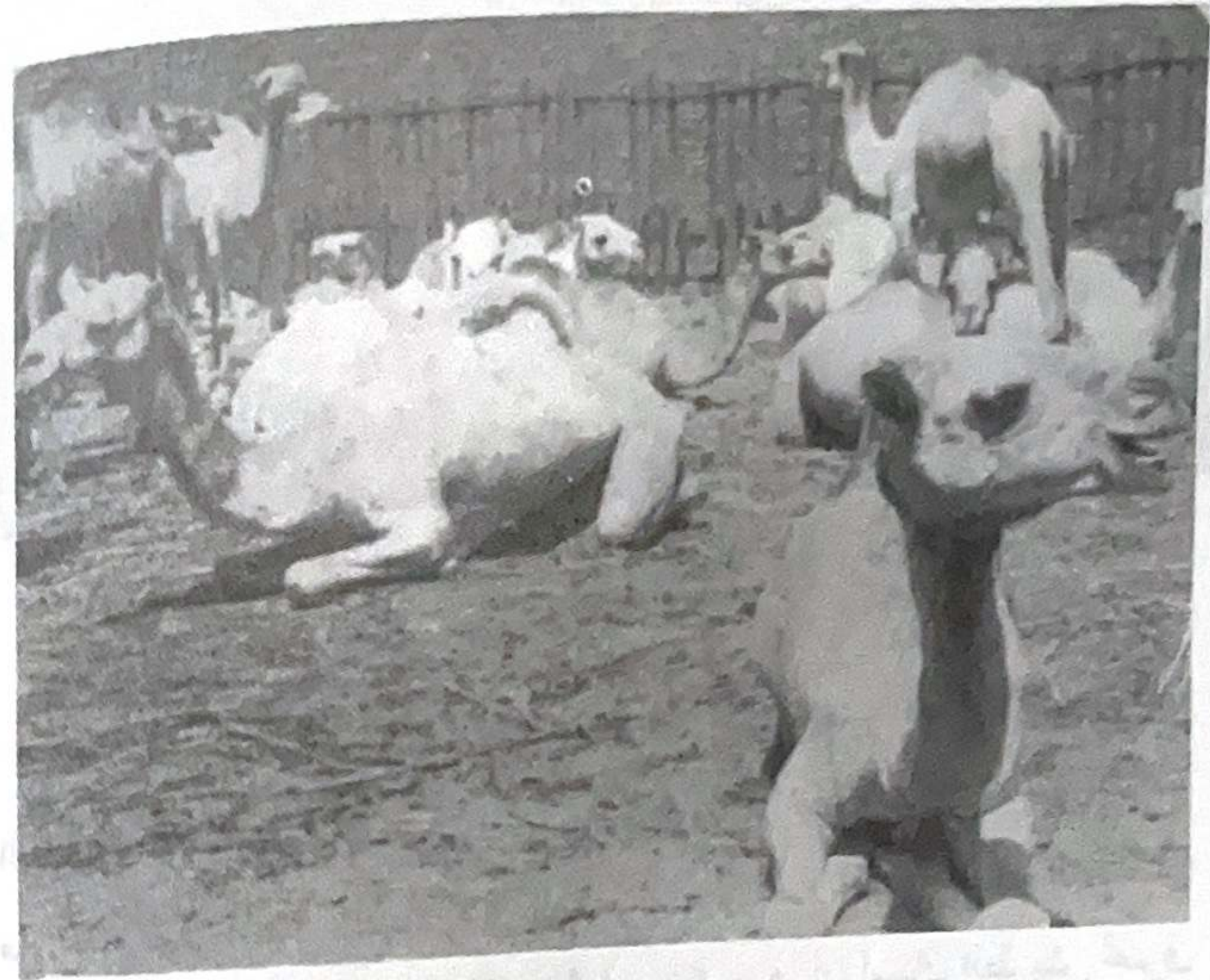


هو ثعبان الطريش فرغم صغر حجمه ، إلا أنه يعتبر العدو الأول لسكان الصحراء وزوارها وأيضاً حيواناتها ، وخطورته لا تكمن فى سمه على الرغم من عدم توفر المصل المضاد له فى الصحراء ، لأنه من الممكن فصد الدم مثلما يفعلون مع لدغة العقرب ، ولكن الخطوره تكمن فى أن أسنان الطريش تخترق جسم الإنسان وتسير مع السم فى الدم ولا يمكن حماية الإنسان إلا ببتر الجزء المصاب وهذا إذا ماكانت الإصابه فى الأطراف ، أما إذا كانت فى الجذع فمن الصعب بترها وإسعاف الرجل المصاب ، ويترك حتى يموت أو تحدث معجزه

من الله ويبقى حياً وفى هذه الحالات تتورم مكان اللدغه ويعجز هذا الجزء عن الحركه ويفقد مرونته .

وثعبان الطريش يحدث صوتاً عند حركته لأن على جلده قشور مثل قشور السمك تحتك بعضها ببعض عند الحركه وهو يتحرك بشكل حلزونى « يكون جسمه ملفوف على بعض » ، ومن الصعب إقتفاء أثره على الرمال لأنه يدفن جسمه كله فى الرمال ولا تظهر إلا رأسه وهى مضغوطه ومثلثة الشكل .

سوق دارو



دراو مدينة تبعد عن أسوان بحوالى ٥٠ ك . م . وبها يقام أشهر سوق لبيع الإبل بالشرق الأوسط ، وهو يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، حيث تأتى

قافلة الإبل وتسمى دبوكه وتضم الدبوكه ما يزيد عن خمسة آلاف جمل ، يجمعونها من السودان والبلاد المجاوره ، وتأتى القافله فى طريق محدد ويبدأ من الفاشر إلى دنقله ومنه إلى وادى العلاقى بالصحراء الشرقيه ثم إلى قرية بنبان بحرى ، وبالمراكب يتم نقل الإبل إلى الجانب الغربى للنيل لتعرض فى سوق دراو وبعد ذلك تأخذ طريقها إلى سوق إمبابه بالقاهره وذلك عن طريق الأربعين فى الصحراء الغربية وقد عرف بهذا الإسم لأن المسافه التى تستغرقها الرحله من دراو إلى إمبابه هى أربعين يوماً .

وتسير الدبوكه فى صحبة خمسه من الرجال الأول على يمين القافله والثانى عن يسارها والثالث أمامها والرابع خلفها والخامس هو قائد الرحله ودليلها فى الطريق . أما التاجر الكبير صاحب القافله فإنه يحضر بالطائره إلى سوق دراو فى اليوم المحدد لوصولها ويبيعها ويستلم أمواله ويرجع للسودان .

ويمر الإبل على الحجر الصحى بدراو ويدفع عن الجمل الواحد ضريبه تبلغ ١٣ جنيها ويعتبر سوق دراو ملتقى لممثل كل القبائل العربيه والبدويه فى مصر والسودان ومنهم (العبابده ـ البشاريه ـ الهدندوه ـ الكبابيش ـ العراريف ـ الدناقله ـ النوبا ـ البديريه ـ الزبيديه ـ الرشيديه) .

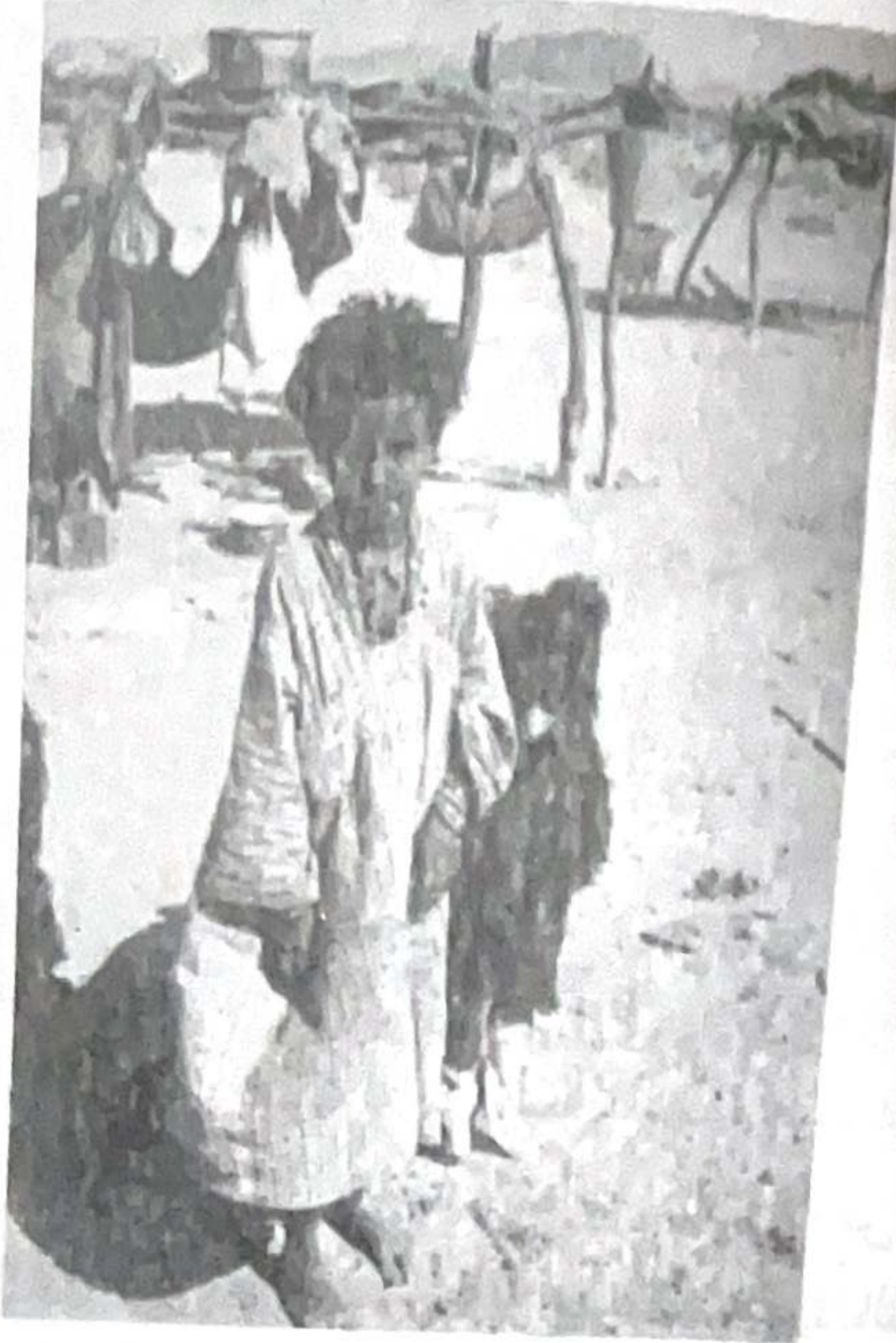
ملابس الأطفال



الطفله الصغيره تلبس قميص أو جلباب قصير ، الشعر أشعث وغير مجدول وتتحلى بعقود من الخرز والتميمه فى رقبتها . (وهذا ما نلاحظه فى الأطفال الذين يظهرون على يسار الصوره) وإذا ما بلغت الفتاه الثامنه أو التاسعه من عمرها تضفر شعرها على الجانبين وتزينه بالودع المجدول مع جلد الإبل وتلبس فوق جلبابها « الشجه » تربطها فوق وسطها وتلقى بطرفها على كتفها وتلبس الأساور الفضه فى معصمها .

أما السيده الكبيره « والدة البنات » فأنها تلبس « الشجه » وتغطى شعرها بطرفها وتتحلى بكل أنواع الزينه المسموح بها للنساء .

طفل الصحراء

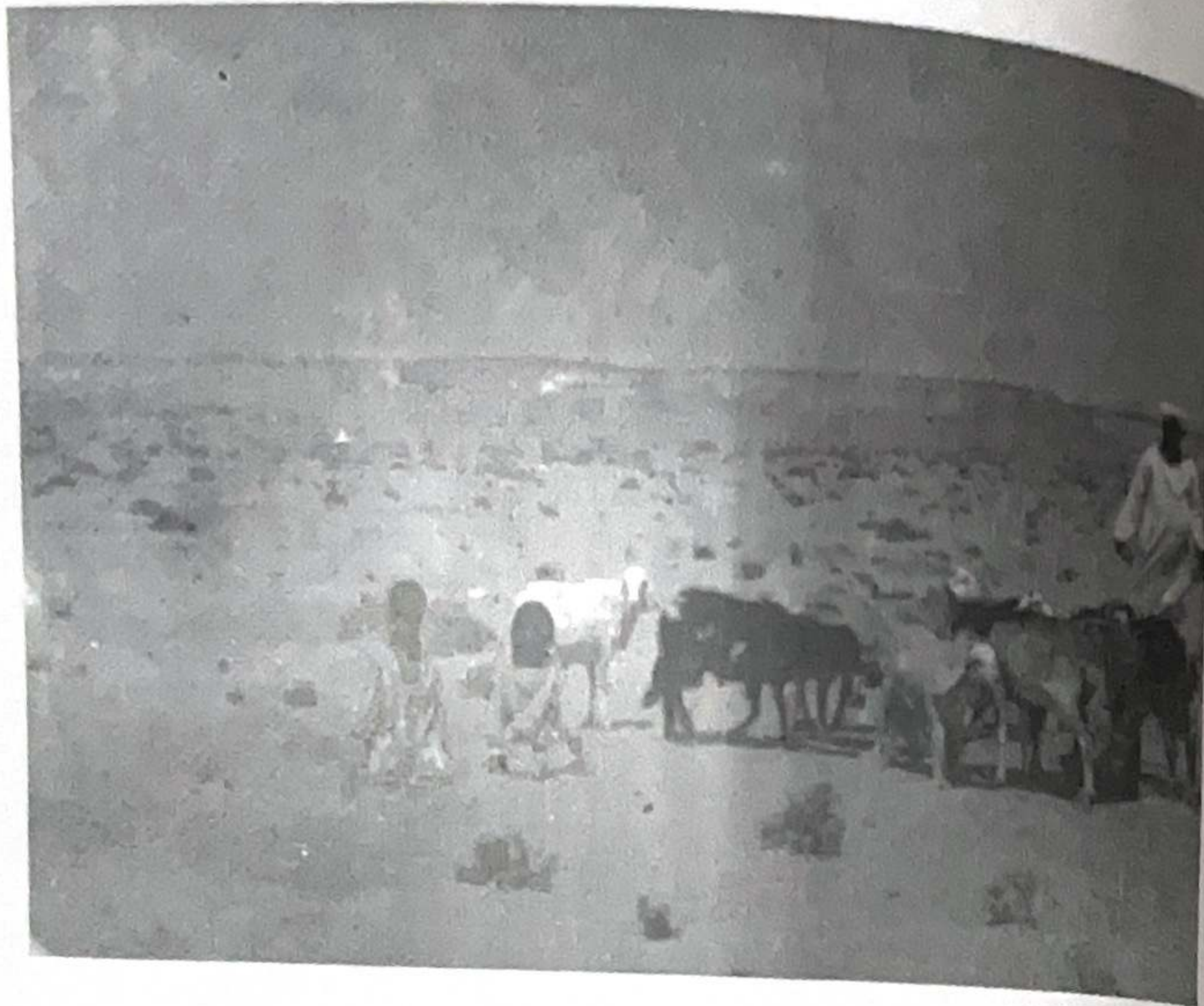


تكيف الإنسان العبادى مع البيئه بمناخها المتقلب بين الحرارة الشديده والبروده الشديده ، فملابسهم لا تختلف بين الشتاء والصيف كثيراً ، فتلك فتاه صغيره تلبس قميص من قماش « الكستور » دون شىء رغم أننا كنا بفصل الشتاء وكانت البروده شديده لم تحتملها الباحثه ، إلا أن هذا الفتى وتلك الفتاه قد تعودا على مناخ موطنهم ولم تعد البروده تشكل أمر بالنسبه لهما .



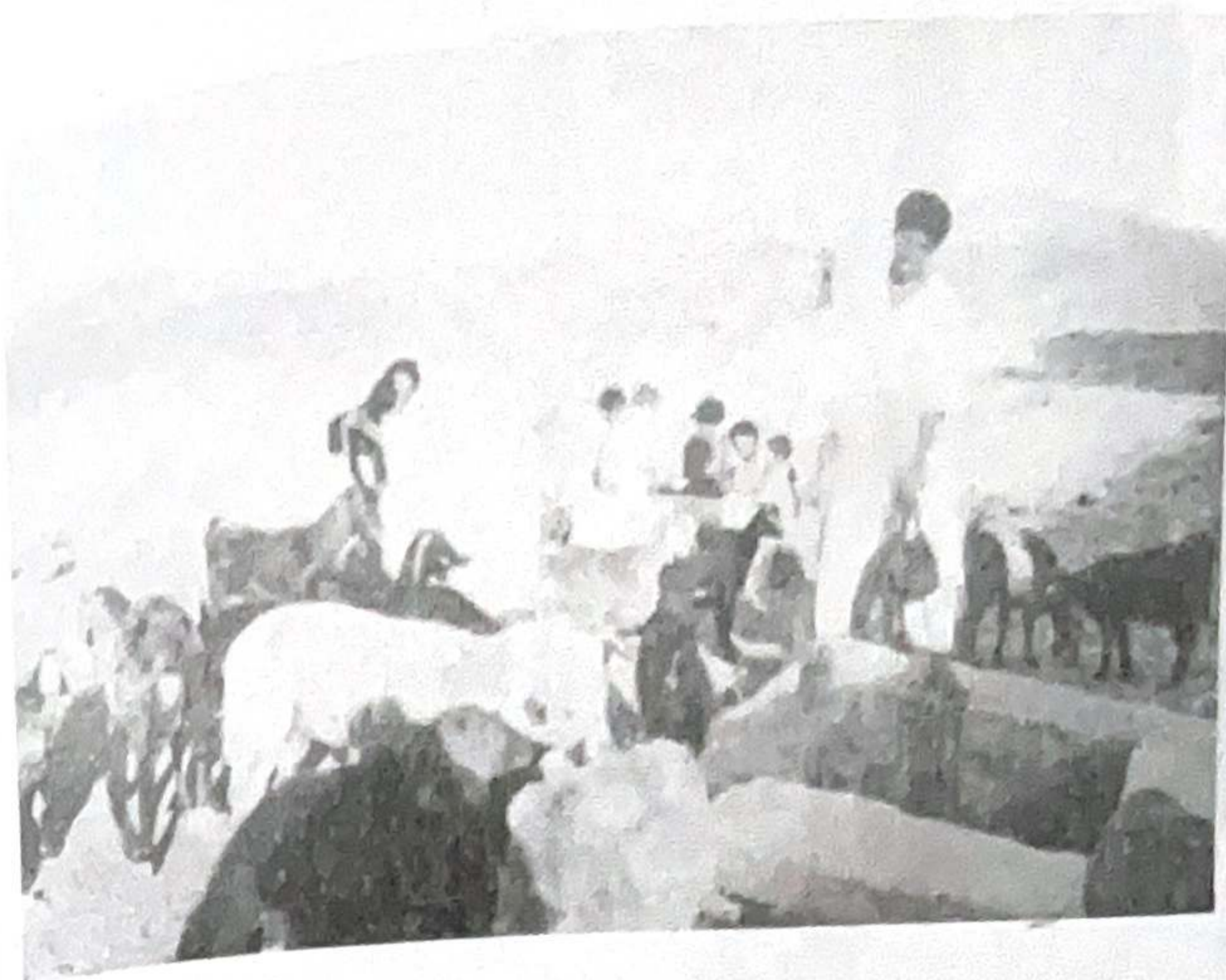
ونرى فى الصوره أن الحلى لها مكانها على صدور الأطفال ، فنرى فاطمه تلبس أكثر من عقد من الخرز والودع بالإضافه إلى التميمه والتى يتحلى الطفل عيسى أيضاً . والحلى بالنسبه للأطفال ليس الهدف منها هو الزينه بل الحماية من الجن والأرواح الشريره والحسد وأيضاً من دبيب الأرض (العقارب ـ الثعابين) لأن طفل الصحراء ليس لديه وسيله للتسلية إلا اللعب فى الرمال وجمع الحجاره الملونه .

الرعى



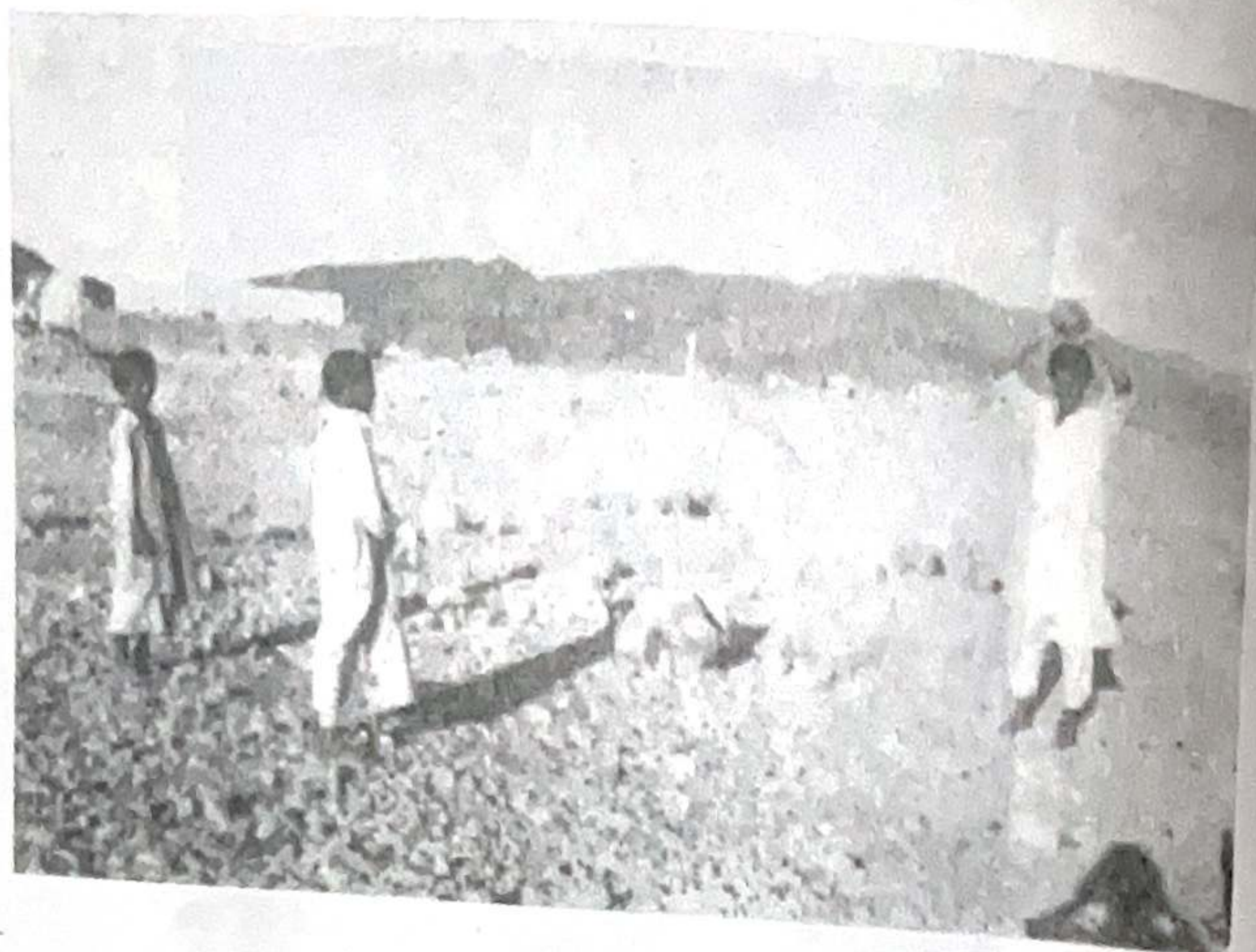
عادة ما يكون مهمة رعى الضأن والماعز ضمن أعمال المرأه التى تقوم به فإذا ما كان لديها أطفال فإنها تترك لهم أداء هذه المهمه .

ويخرج الطفل مع الحيوانات فى شروق الشمس ويعود مع غروبها وتستغرق مسيرته عدة كيلومترات حتى يجد المأكل والمشرب لأغنامه ، ورغم طول فترة تجواله فى الصحراء إلا أنه لا يحمل معه طعام ولا شراب وهذا مقصود من جانب والديه حتى يتعود على الجوع والعطش ويتعود مشاق



الصحراء . . . هكذا يتربى طفل الصحراء . ومن المخاطر التى تواجه الراعى الصغير فهو « هجوم الصقور » فالصقور تجتمع فى السماء بشكل قافله ثم تهجم على الأغنام ، وتدور المعركه بين الصقور والصغير الذى لا يملك إلا قطع الحجاره الصغيره ليدافع بها عن غنمه ، ومما لا شك فيه أن الغلبه تكون للصقور التى تحمل شاه أو أكثر وتهرب ، ويستسلم الطفل ويتعلم الحرص فيما بعد .

الطفولة



الطفل فى الجبل لا يعرف كثيراً من الألعاب التى يلعبها طفل المدينه ، فمنذ أن يدرك المحيط الذى يعيش فيه لا يعرف فيه إلا الرمال والجبال والإبل ، فنراه يتعلم إقتفاء الأثر ويبدأ بالبحث عن « جره » وهى أثر إقدام أمه على الأرض ، بعدها يتعرف على أثر الإقدام المختلفه للإنسان والحيوان والدبيب وقد يبرع فى هذا ويتفوق فيه عن أقرانه .

ولعبة الأطفال الوحيده هى « السيجه » وهى أيضاً لعبة الكبار ، ويتسابقون فى صعود الجبل والجرى والقفز من الأماكن المرتفعه . وحينما يشب الطفل ويبلغ الخامسه يخرج للرعى ويجمع الحطب .

وتلك الصوره توضح اللعبه الجديده التى تعرف عليها الأطفال فى منطقة سيدى أبى الحسن الشاذلى وهى لعبة الكره .

العروس فى ليلة عرسها



العروس فى أول يوم من أسبوع الاحتفالات تفك شعرها من الجدائل وتتركه كما يظهر بالصوره متدلى على كتفيها ، وتذهب بعد عقد القران فى صحبة صديقاتها « الوزيرات » لتلف حول خيشة زوجها سبعة مرات ثم تسلم

على زوجها وسط زغاريد النساء ، ولا يصح أن تلتقى بزوجها لأول مره وشعرها بجدول لكى لا تكون حياتهم معقده .

والعروس فى الصحراء لا تتقيد بفستان الزفاف الأبيض ، فهو غير معروف لديهم وليس له الدلاله التى نراها فى المدينه ، وهى تكتفى بلبس الثوب الجديد .

وتبدأ العروس تستعد للزفاف من اليوم الثانى حيث تضع الحنه فى « ليلة الحنه » تشاركها فى وضعها نساء القبيله ثم تمشط شعرها جدائل وتزينه بالشاواشاو « وتوشم الشفه السفلى وتضع الخزام أو الدبوس فى الجانب الأيسر من الأنف . وتلك هى أنواع الزينه التى تكون قاصره على النساء المتزوجات ويتم كل هذا بعد عقد القران .

وتلك العروس بين والديها تستعد لرؤ ية زوجها .

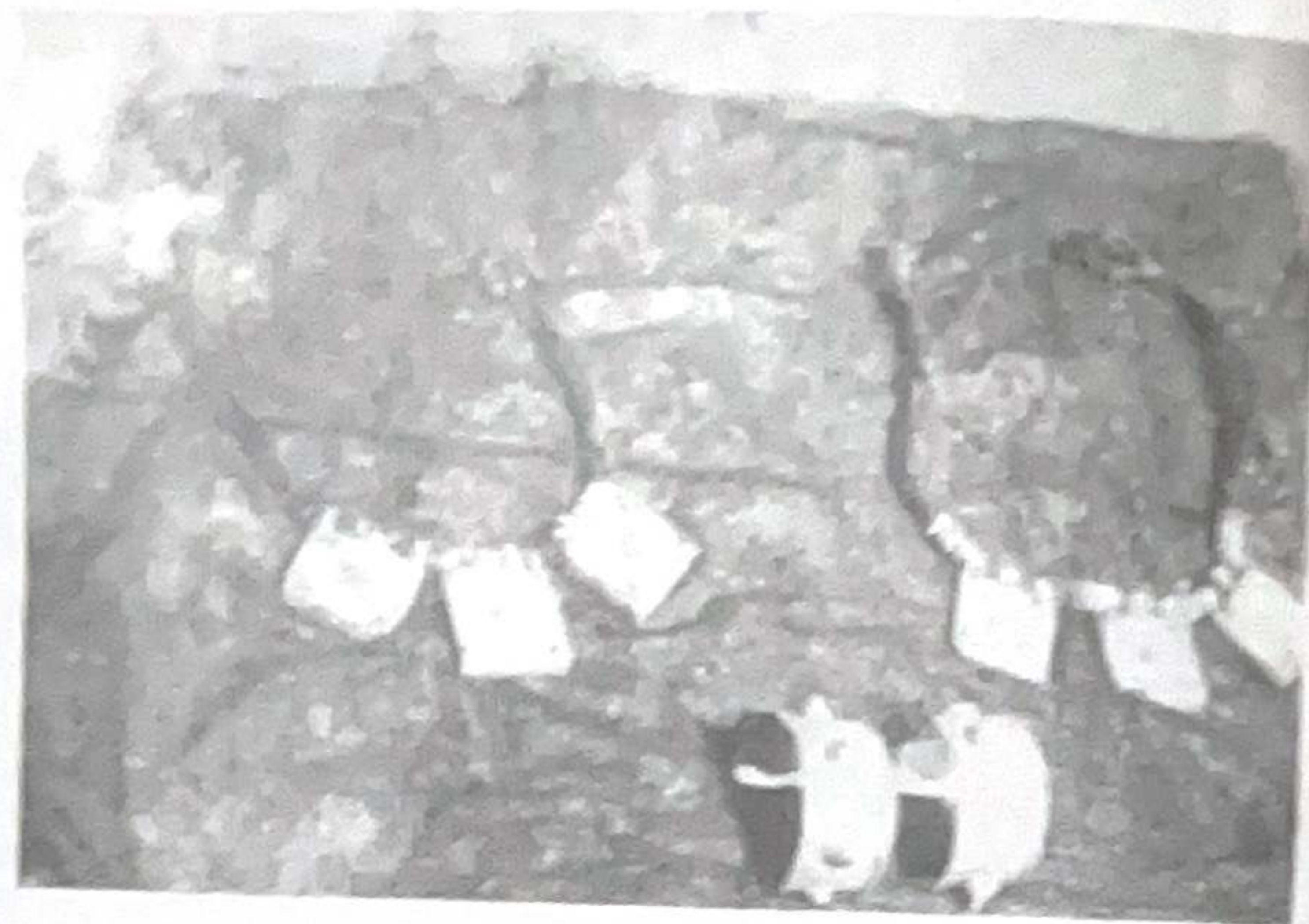
الزينه والحلى



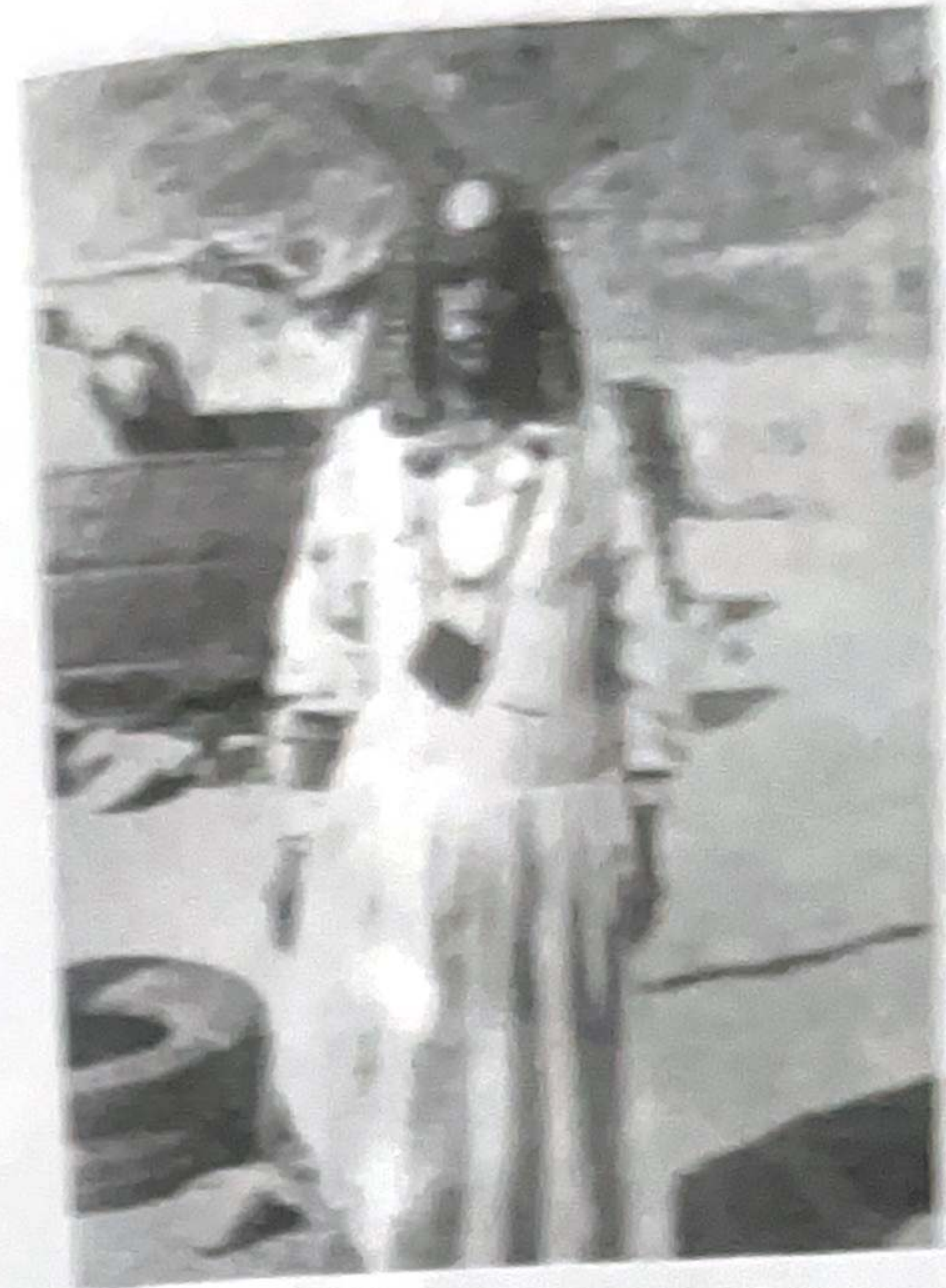
الإنسان يسعى دائماً خلق جو من السعاده من حوله فيزين ممتلكاته ويزين نفسه ونساء العبابده والبشاريه مولعات بالحلى ، ويبدين إهتماماً كبيراً بأنفسهم . ويمشطن شعرهن على شكل جدائل على الجانبين وتتدلى قصه على الجبين وتربط خلف الأذن بجلد مضفر ويتدلى على الجبهه حلية من الذهب « تسمى بالدينار » وتزين ضفائر الشعر بحلية « الشاوشاو » ، وفى الأنف يلبسن الخزام وهو من الذهب وفى الرقبه وعلى الصدر العديد من العقود ، فالأول وهو الملاصق للرقبه يسمى « سعفه » ويتكون من تسع قطع من الذهب ويفصل بين القطعة والأخرى أربعة خرزات من اللون الأبيض والأسود ،

وتلك الحليه يدفع ثمنها العريس ، يشترونها (قطع الذهب) فقط ويقومون بتركيبها مع الخرز بأنفسهم .

ويلى السعفه عقد من الخرز يليه سبحه طويله من الخرز الأسود ، وهناك عقد الخرز الملون والمتدلى منه « الحفيظه » ، وأخيراً كيس الجلد المعلق فى ضفيره صغيره من شرائط الجلد وبداخل هذا الكيس حجاب مكتوب بهدف دفع الشرور ويقوم بكتابته أحد المتخصصين فى السودان .

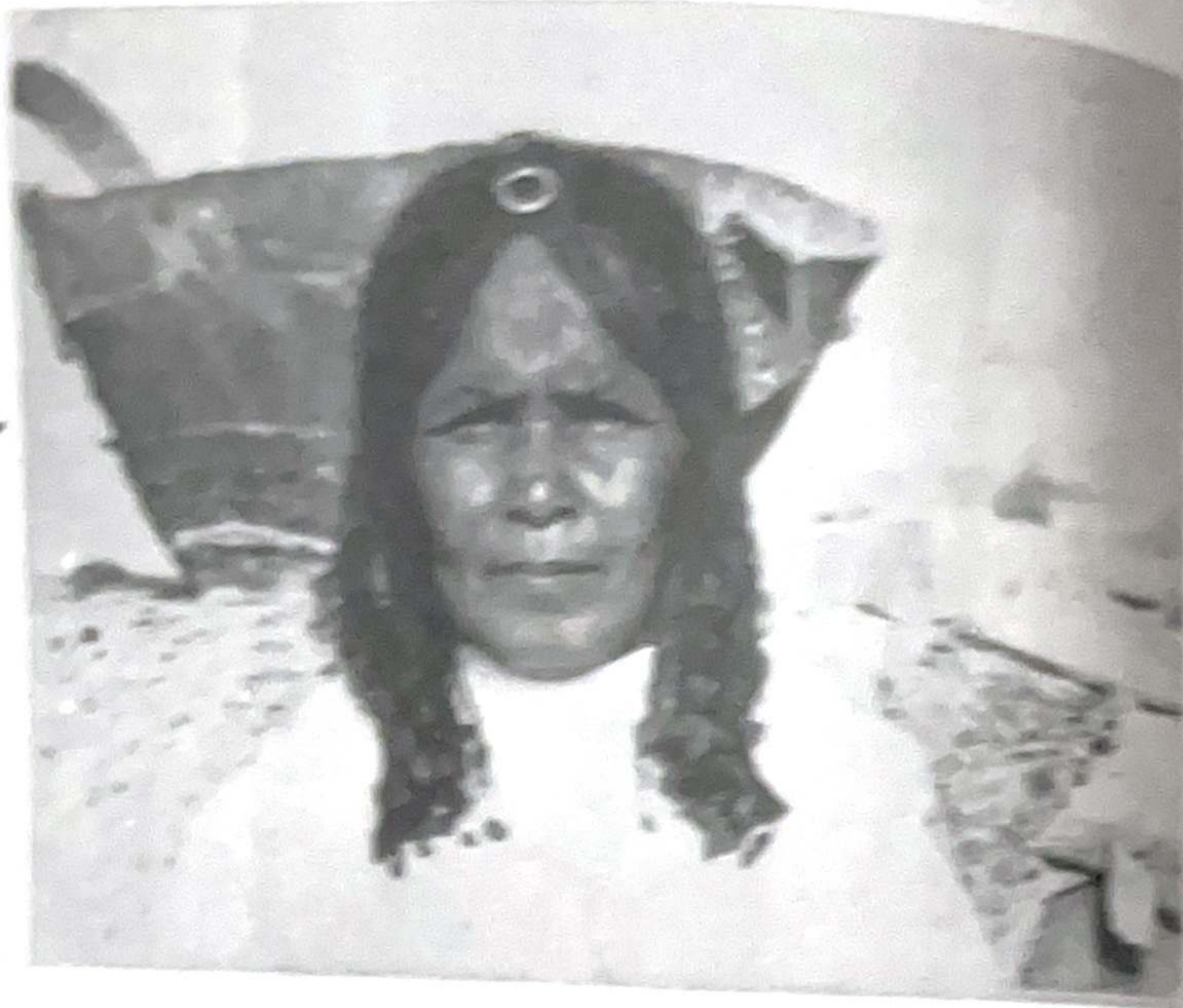


وتلبس المرأة فى معصمها سوار كورده وسوار قبة زمزم وهما من الفضة ، بالإضافة إلى بعض الأساور من البلاستيك والعاج ، وتلبس فى أعلى الذراع وأيضاً عند المرفق مجموعة من الأساور الخرز تصنعها بنفسها وتشكلها بأشكال جميله ، وفى الأصابع تلبس عدة خواتم كلها من الفضة ومنقوشة بنقوش لها دلالة سحرية وتشتريها من السودان أما الخواتم العادية كخاتم منجور تشتريها من أسوان .



وتلبس المرأة الخلخال أسفل الساق ، وتعتقد أن عدم لبسه يكون سبباً للإصابة بالأمراض وخاصة آلام الساقين .

الشلوخ



الشلوخ هي الخطوط المرسومة على الخدود أو الجبهة وهي من أثر الفصد بالموسى ، وعادة الشلوخ لها جذور قديمة في التاريخ وكانت في مبدأ الأمر شارة أو علامة رمزية تدل على الهوية القبلية للشخص .

وقد أخذت الشلوخ أشكالاً مختلفة كالخطوط الأفقية والرأسية أو شكل الطيور والحيوانات على الصدر والأذرع ، والشلوخ عند المرأة العبابدية والبشارية يكون على شكل ثلاثة خطوط رأسية على الخدين ، وتتم عملية الشلوخ بهدف الزينة .

وهناك نوع آخر من الشلوخ على شكل ثلاثة خطوط رأسية بجوار العين والهدف منه هو العلاج لمن يشتكى من الصداع أو ضعف البصر .

الأناقة مطلوبة



المرأه لا تهمل زينتها أبداً ، رغم قسوة البيئه التى تعيش فيها فأنها تحرص على أن تبدو جميله فى كل الأوقات ، أثناء خروجها للمرعى وفى سفرها وفى رعايتها لأولادها .

وبالقاء نظرة سريعة على تلك الصوره نستطيع أن نفرق بين الفتاه والسيده المتزوجه فالفتاه هى التى على يمين الصوره لأنها تمشط شعرها على الجانبين ، بينما السيدة هى التى تتدلى على جبينها قصه .

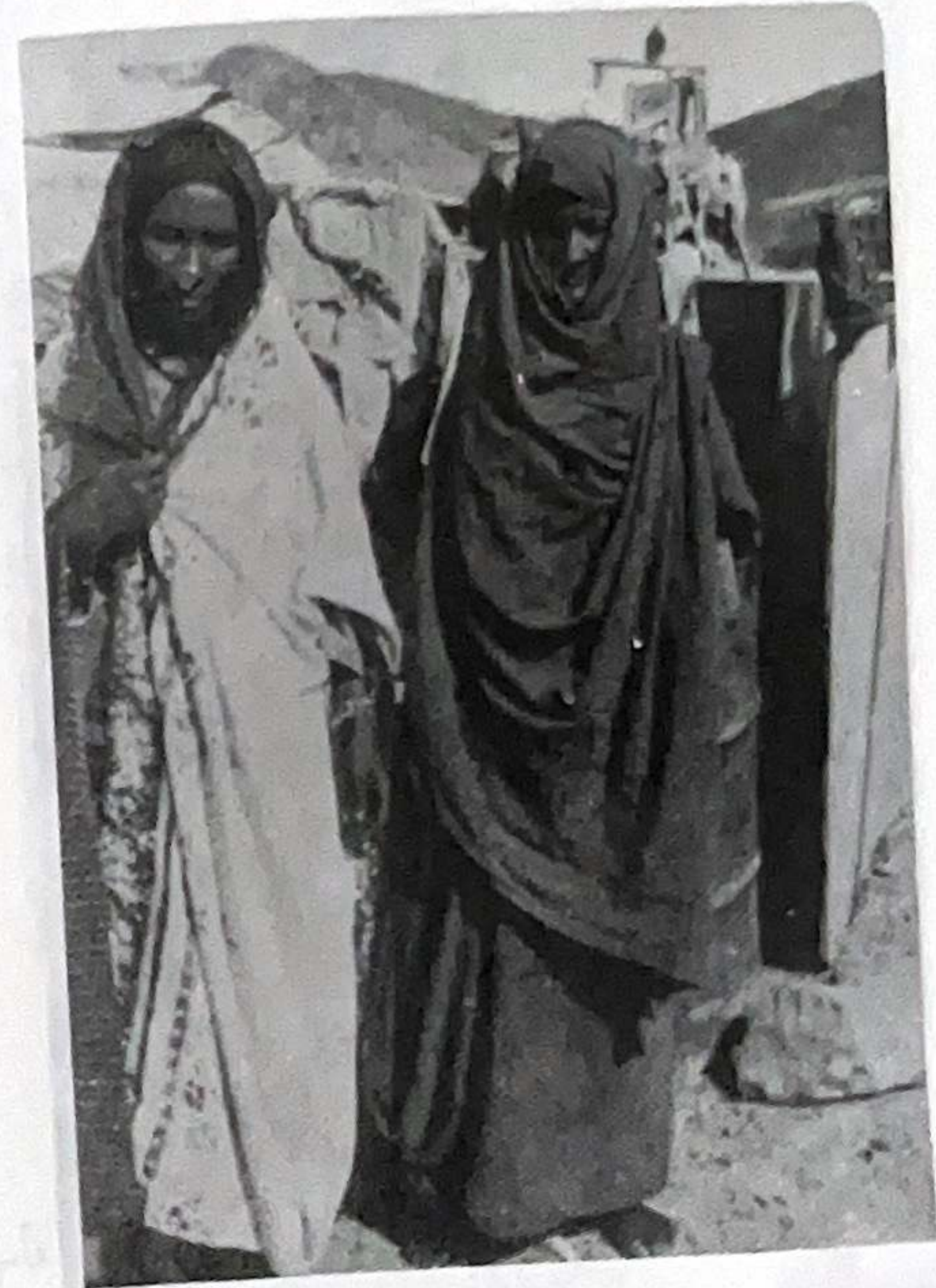
والطفل الصغير يلفون فى رقبته طوق من الجلد المجدول وهذا ليس بهدف الزينه ولكن الهدف منه أن يجعل رقبة الطفل قائمة وتمنع تدلى رأسه على صدره .

الطفل لا يلبس المخيط



سيدة تحمل طفل صغير ، والطفل بعد مولده لا يلبس الملابس المخيطه لمدة أربعين يوماً ، بعدها يلبس قميص قصير من الدمور ، وتهتم الأم برضاعة وليدها رضاعه طبيعية ولا تحرمه منها إلا إذا إمتنع هو عنها ، وتهتم الأم بتعليق تميمه من الفضه وأخرى كتبها شيخ فى رقبة الطفل وذلك لحمايته من الجسد وتحفظه من الروح الشريره .

المرأة العبادبة بين النوبية والسودانية



إذا ما رأيت المرأه العباديه والبشاريه وسط مجموعة من نساء الوجه القبلى والنوبه والسودان ، استطعت وبسهوله التعرف عليها على الرغم من أن طريقة تصفيف الشعر قد تكون واحده . ولكن ما يميز نساء الجبل الحلى الكثيره اللائى يتحلين بها فى الأذرع والصدر والساقين ، بالإضافه إلى طريقة لبس الشجه حيث أنهن يربطن بطرفها على الوسط ويلفونها على الجسم ثم يلقون بطرفها الأخر على الكتف الأيسر ، بينما النساء السودانيات يربطن الشجه على الصدر وتلف حول الجسم ويغطى بطرفها الشعر .



وكان فى الماضى نساء العبابده والبشاريه يلبسن الشجه دون شىء تحتها ومازال هذا لباس نساء الجبل ، وفى المناطق الساحلية أصبحن يلبسن فستان قصير تحتها .

صناعة الشملة



تهتم المرأة بغزل صوف الضأن والماعز ثم تقوم بنسجه ، ويستخدمون النول البدائى وهو عبارة عن عصاتان من فروع الشجر يربط فيهم الخيط ويتم تثبيتهم فى الأرض بالحجاره وتقوم المرأه بعمل الشملات من الصوف الخالص أو تضيف إليه بقايا الأقمشه وتوزع الألوان فيه بشكل جميل ، وتستخدم

الشملات كأغطية أو فراش للأرض ، والفتاة الصغيره تساعد أمها فى غزل ونسج الصوف . (الصوره اليمنى توضح النول وهو على الأرض والفتاه الصغيره تغزل . والصوره الأخرى توضح سجاده منسوجه من بقايا الأقمشه وزخرفتها جميله) .

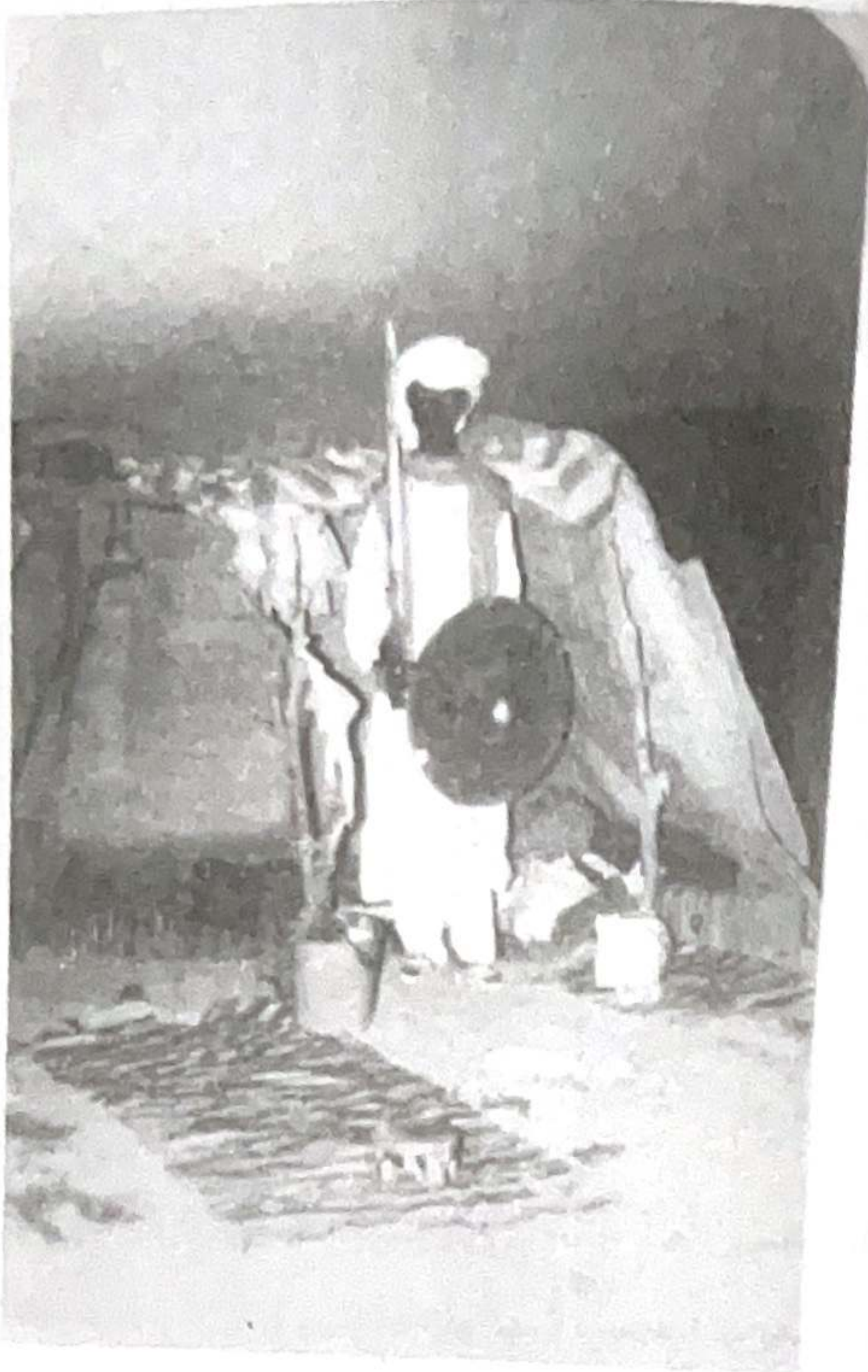


عصا السنكواب



تحتفظ المرأه العباديه بعصا فى نهايتها جرس ومزينه كلها بالودع ومربوط عليها قصاصات من الأقمشه وهى مأخوذه من أضرحة الأولياء وتلك العصا توضع فى داخل الخيشه ، وهم يتباركون بها (وهذه سيدة تحمل فى يدها العصا المشار إليها) .

العريس أو الأمير



العريس أو الأمير « جمعه أحمد خير » فهم يلقبونه بالأمير طوال فترة الفرح ، وهو يرتدى الملابس الجديده ويضع على رأسه العمامه ، فلابد للعريس أن يغطى شعره أثناء إحتفالات الزواج ولمدة أربعين يوماً بعد الزواج ، وهذا إتباعاً لتقليد قديم كان يقضى على العريس أن يتشبه بالأنثى

فيغطى شعره ويلبس حلى النساء ويمتنع عن حلب الماشية وذبحها حيث أن حلب وذبح الماشية من الأعمال المقصوره على الرجال وهم يعتقدون أن بتشبه العريس بالأنثى -فهو بذلك يضلل الأرواح الشريره حتى لا تصيبه فى قوته الجنسية . كما أنه وبعد الزفاف يجلس العريس فى خيشته لا يغادرها لمدة أربعين يوماً وتقوم أسرة العروس على توفير احتياجاته من المأكل والمشرب وهذا أيضاً إجراء وقائى لحمايته من الإصابه من مرض المشاهره والذى يعتقدون أنه يصيب الرجل والمرأه أثناء الفتره الأولى من زواجهم .

ونرى الأمير يحمل فى يده اليمنى السيف وبيده اليسرى الدرجه ، ويجلس فى خيشته المفتوحه الشكل كما نرى لاستقبال الضيوف والمهنئين ويقدم لهم الحلوى ويلقى عليهم بالروائح والعطور .

أحفاد الفراعنة



قال عنهم العالم الإنجليزى « سليجمان » أنهم بملامحهم الفيزيقية يعدون أقرب الشعوب المعاصره شبهاً بقدماء المصرين .

وتلك الملامح هى « الأنف المعتدل ـ الشفاه الغليظه ولكنها غير مقلوبه ـ تجويف العين لوزى الشكل وليس بها جحوظ ـ لون البشره نحاسياً ـ عظام الذقن دقيق ـ ويتميزون بطول القامه والنحافه .

لاحظ الصوره تجد الملامح الفرعونية تتجسد فى وجه هذا الرجل البشارى .

كيف يمشط الرجل شعره :



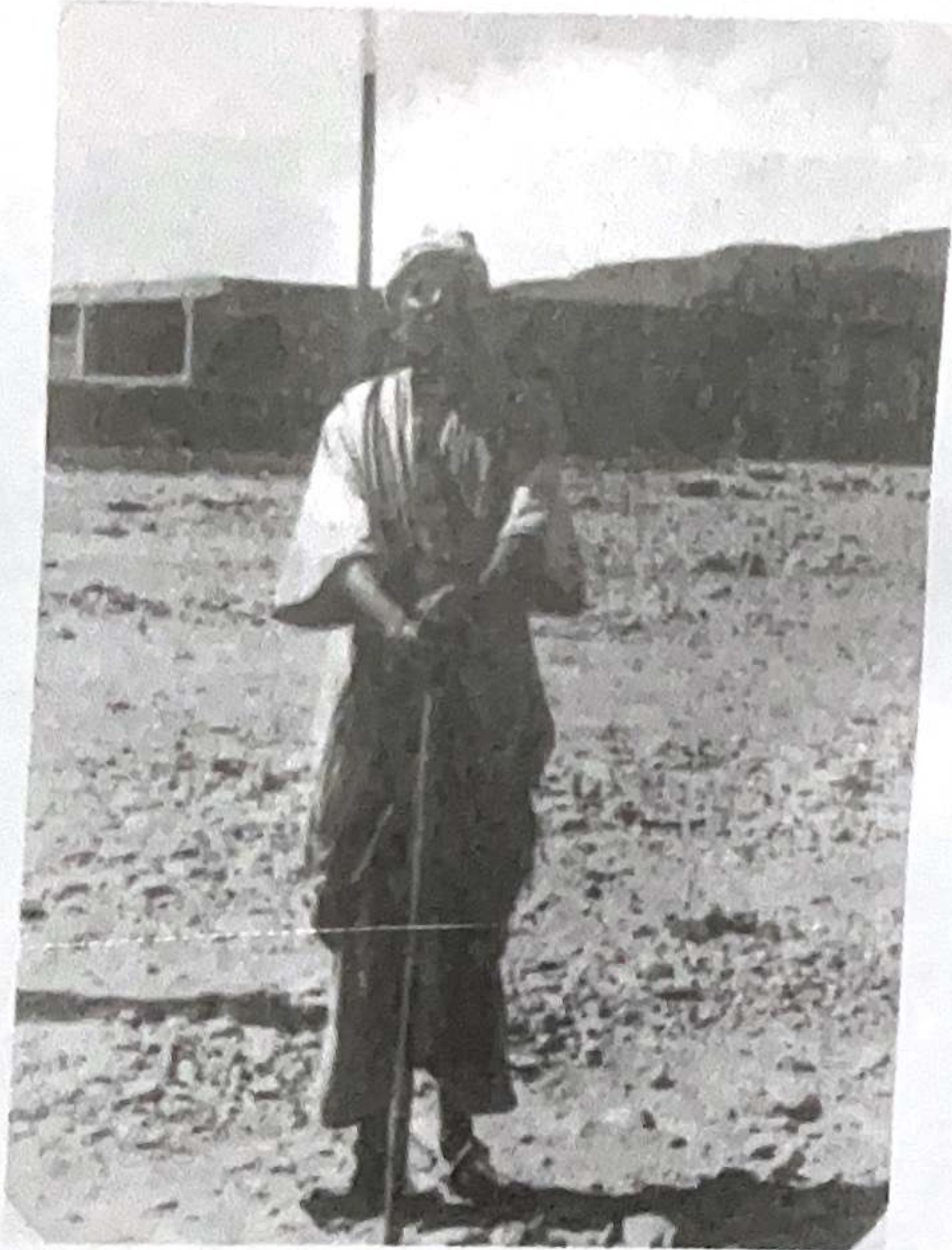
يهتمون كثيراً بتصفيف الشعر ، فالطفل حينما يصل العاشره يمشط شعره بشكل « كنيش » ويسمون هذه التسريحه « هنكل » وحينما يصل مرحلة الشباب يمشطه بشكل « هنكليت » وهى تلك التى نراها فى الصوره وفيها ينقسم الشعر إلى جزئين ، الأسفل يكون مضفر بشكل جدائل والأعلى كنيش .

وحينما يبلغ مرحلة الرجولة الكاملة أو يصبح شيخاً فيمشط شعره بشكل « شكناب » وهو يشبه الهنكليت والفارق الوحيد أن الشيخ يضفر السوالف ولا

تظهر أذنه للرائى بينما الشاب لا يضفرهما ، وهذا يجعلك تفرق بين الشاب والشيخ الكبير .

وهم يستخدمون الودكه لدهان الشعر ، ويستخدمون « الخلال » أو شوكة الشعر لتمشيطه ، وهو محفور من خشب شجر « الآر » الذى ينبت بالصحراء ، وبعد الانتهاء من تمشيطه يوضع فى الجانب الأيمن من الشعر كنوع من الزينة ، وذلك كما نرى فى الصوره .

ملابس الرجال



رجالهم يلبسون القميص ويسمى « التكشيته » وهو قصير فوق الركبه وأكمامه قصيره وبدون ياقه وتحته سروال وفوقهم يلبس « الشجه » ، وكله من

قماش الدمور وقد كان لبسهم فى الماضى يقتصر على « الشجه » حيث كانوا يلفونها على الوسط لتغطية العوره ويلقون بطرفها على الكتف الأيسر ، وهم لا يميلون للألوان عموماً ويفضلون اللون الأبيض ، وربما يرجع ذلك لأنهم كانوا دائماً يلبسون قماش « الدمور » وهو المتوفر والمناسب لإمكانياتهم المادية .

وينتعلون الصنادل البلاستيك وفى الماضى كانوا ينتعلون الصنادل التى يصنعونها بأنفسهم من جلود الإبل ومازال سكان الجبال يستخدمونها وأسمها « فدات » والعصا تلازم الرجل دائماً يحملها فى رعيه وترحاله .

سلاح البدو



أسلحتهم الرئيسيه هى السيف والشوتال وهو الخنجر ويشترونه من السودان وللسيف جراب من الجلد المنقوش ويده مشغوله بالفضه ، وهم يعتزون كثيراً بالسيوف ويتوارثونها وفى الماضى كانوا يدفنوا السيف والخنجر مع الرجل فى قبره .

ونرى هذا الرجل وقد لبس العمامه ، وقد كان فى الماضى لبسها يقتصر على الشيوخ فقط ولكن الآن أضحى الشباب يلبسونها وهى تبلغ من الطول حوالى ستة أمتار من الشاش وهم يعللون سبب طولها الكبير هذا بأنها تستخدم فى بعض الأحيان ككفن لمن يتوفى بعيداً عن أهله .

ونجد أن الكمر وهو الحزام العريض ضرورى جداً للرجل لأنه يحمل فيه السيف والخنجر ويحتفظ فى جيوبه بأوراقه ونقوده .

ولا يمكن أن نجد رجلاً لا يحمل الخنجر والسكين وهما شديدى الشبه ببعض ولكن يختلف الأول عن الثانى فى أن مقدمته معكوفه بينما الثانى مقدمته مستقيمه ويستخدم فى الاستعمالات العادية بينما يستخدم الشوتال فى ذبح « الإبل ــ الأغنام ــ الغزال » .

التميمة والحجاب



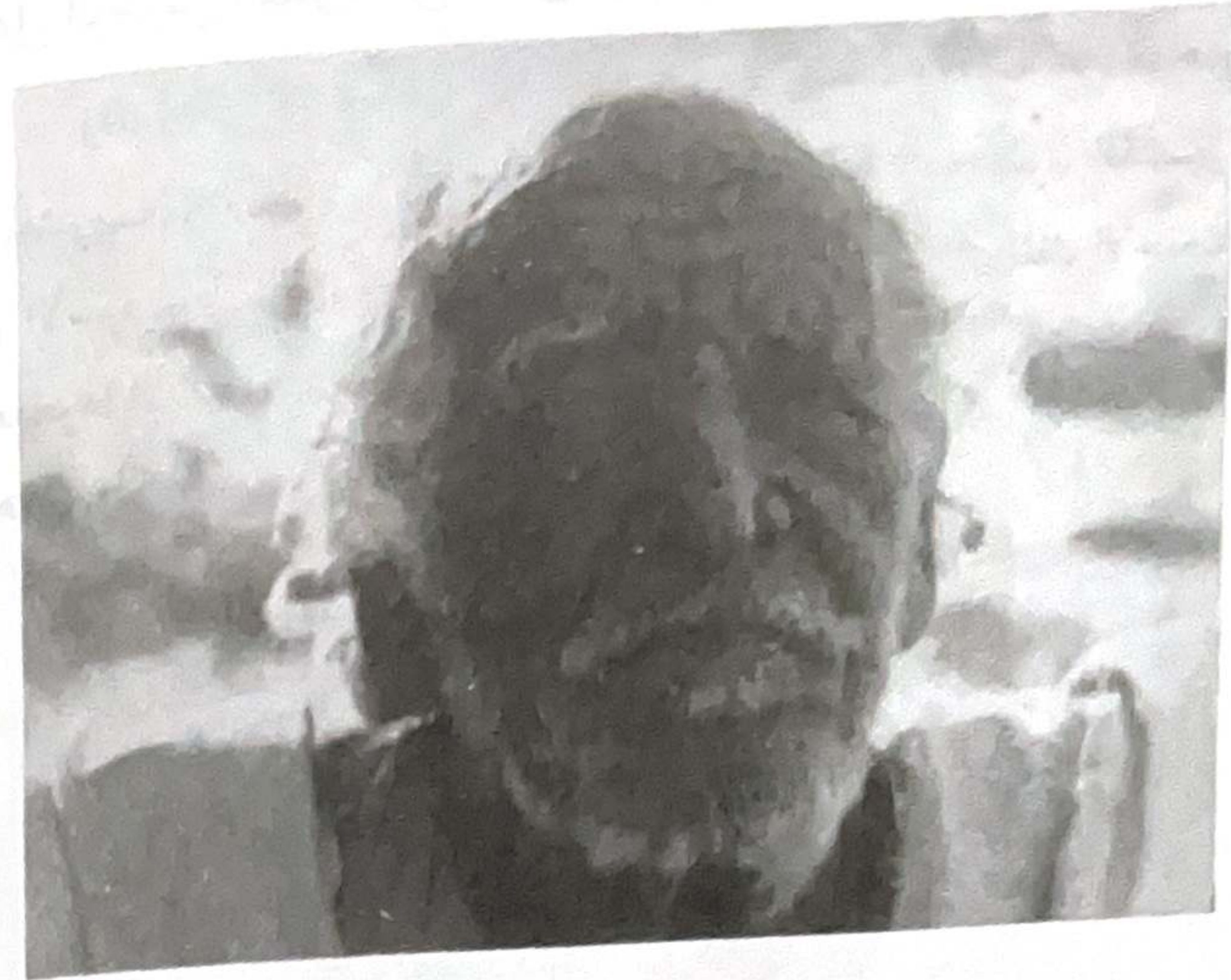
رجالهم مثل نساؤهم مولعين بالحلى جداً ، فنرى الرجل يتحلى فى صدره بسبحة طويله من الخرز الأسود ، بالإضافه إلى سير من الجلد المضفر وينتهى بعدد من الحفائظ (وهى قطعه مربعه من الفضه المنقوشه بنقوش سحرية

وغلفه بالجلد) ومعه كيس من الجلد بداخله حجاب مكتوب بهدف جلب الخير ودفع الشر .

وتلك المعلقات كلها يلبسونها بهدف الزينه أولاً وبهدف الحفظ ثانية من الكائنات فوق الطبيعية (الجن) والأرواح الشريره ونظرة الحسد والانتصار على الوحوش الضارية التى تسكن الصحراء .

وقد حكى لى أحدهم أنه يحمل حجاباً بهدف إخفائه عن الوحوش المفترسه ، لأنهم فى ترحالهم للسودان والحبشه يواجهون الكثير من (الأسود ـ النمور) وحيوانات أخرى ضارية ، وأكد لى أن تلك الأحجبه لها مفعولها الأكيد ، فهو كثيراً ما نام وسط الوحوش دون أن يأذوه ، حيث يراهم هو ، ولكنه غير مرئى لهم .

عم بشير

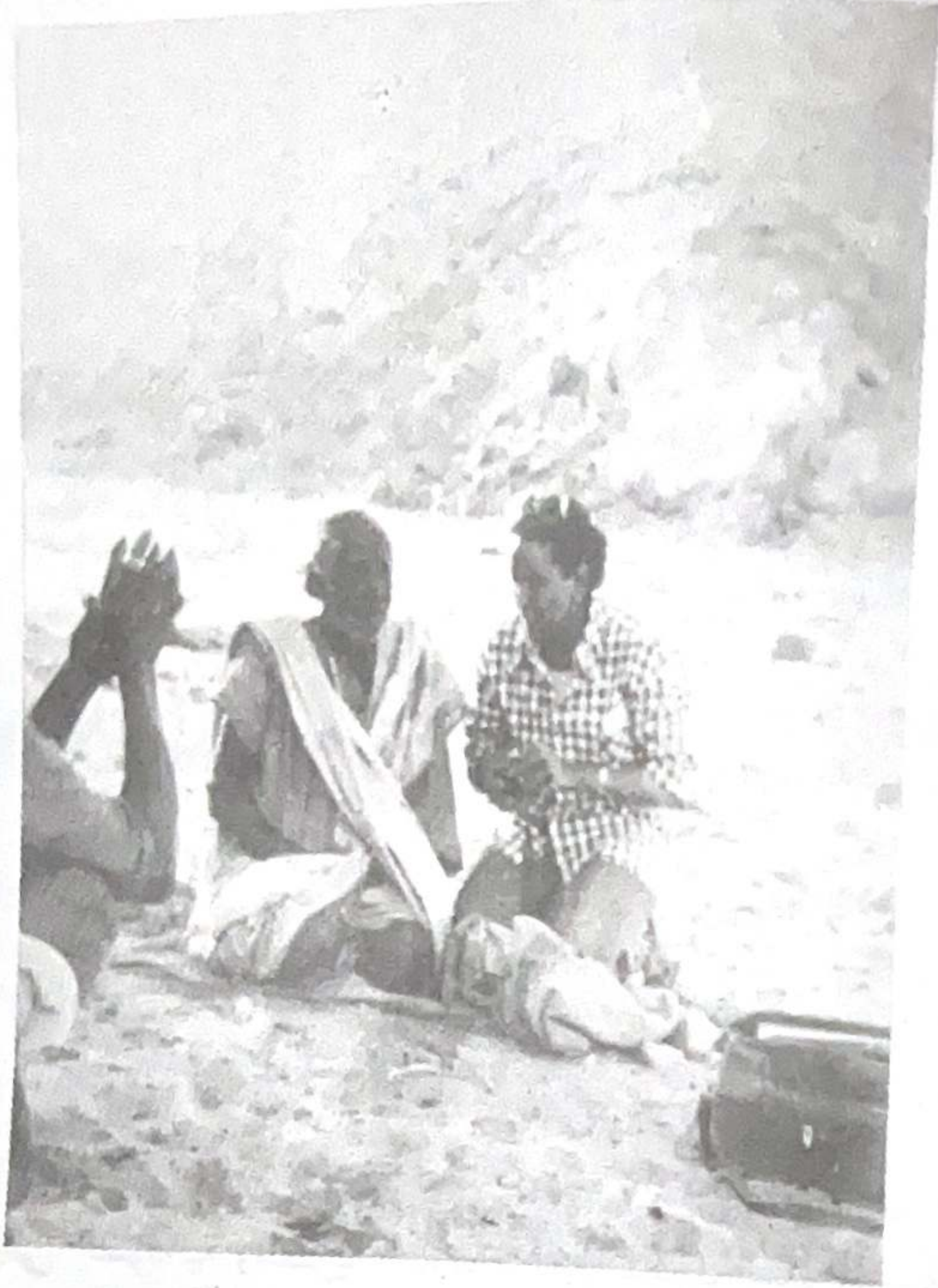


أحد معمرى الصحراء عاش بين دروبها مائه وعشرون عاماً لم يرى فى حياته إلا الرمال والجبال والجمال ، رحل وراء المرعى حتى الحبشه واستقر به المقام فى منطقة « أبرق » إلى جوار جده السابع « الشيخ حميد فله مقام بتلك المنطقه ، لم يرى فى حياته المدينه حتى حينما كف بصره رفض النزول إلى المدينه بهدف العلاج ، لأن خبرته عن المدينه لا تسره فهو يسمع بأنها زحمة والمساكن متجاوره وطوابقها فوق بعضها وليس هناك متنفس للبشر وذلك من زحمتها .

نرى بصمات الزمان على وجهه محفوره ، ولكن قلبه ملىء بالحب للحياه ،

والبسمه لا تفارق شفتيه ، فالرضا والقناعه والتسليم لله سمات لنفسه وروحه وقلبه عامر بالإيمان .

عم بشير الرجل المعمر ساكن الصحراء ، فراشه الأرض وغطاؤه السماء . سعيداً جداً بحياته ، راضى بها قانع بما وهبته الحياه وبرزقه من الدنيا . وفى أوقات السمر يغنى باللغه البجاويه ويذكر المعارك التى خاضها ، فقد شارك عم بشير فى حرب ميسح وهى كانت بين قبيلتى العبابده والبشاريه وبين قبيلة البقاره السودانيه ، حيث غارت الثانيه عليهم وسلبت أموالهم وإبلهم ولكنهم ألحقوا بها الهزيمه فى ميسح .



ويلبس عم بشير « التكشيه » وهو القميص القصير ومن فوقه الشجه ، وكان فى الماضى يلبس الشجه فقط فيلفها على الوسط لتغطية العوره ويلقى بطرفها على كتفه . والشجه تعتبر رداء للإنسان الحى وكفن للميت ، فإذا ما توفى أحدهم بعيداً عن أهله ، فالمار به يلفه بالشجه ويدفنه .

الموسيقى



هم مولعين جداً بالغناء والموسيقى ، ويصنعون بأنفسهم آلة السمسمية أو الطمبوره وهى من الآلات الوتريه ، كما أنهم يستخدمون الدف ويجيدون العزف عليه ، والسمسميه لها خمسة أوتار فقط لأن موسيقاهم هى إمتداد للموسيقى السودانية والمصرية القديمة ، وفيها يتكون السلم الموسيقى من

خمس نغمات فقط ، على العكس من السلم الموسيقى المعاصر والذى يتكون من سبعة نغمات .

ويعزفون على السمسمية مقطوعات موسيقية مشهوره لديهم ومنها « دونب ـ عيدهمت » ومنهم من يبرع فى العزف على الطمبوره ولكن لا نجد بينهم المتخصصين فى هذا الفن وتصحبهم الطمبوره فى حفلاتهم وسمرهم وعلى أنغامها يكون الرقص والغناء .

رقصة الهو سيب







وهى رقصة يستخدم فيها السيف والدرجه والعصا ولمن يجيد الرقص يقولون له « أبشر حبابك عشره » وهو نوع من الثناء .

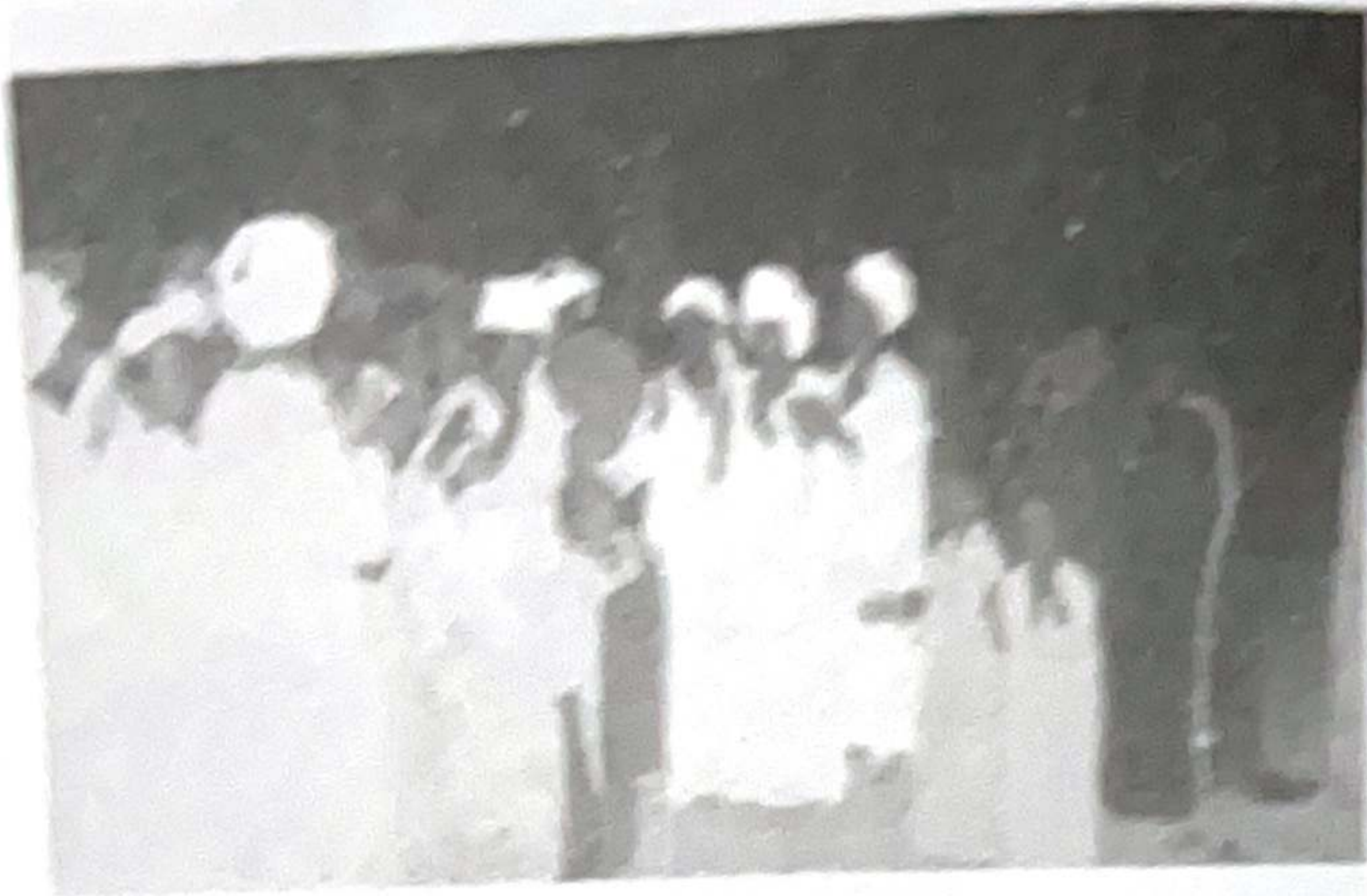
رقصة البيبوت





وهى رقصه خاصه بالرجال فقط ، حيث يقف الرجال على شكل نصف دائره وينزل أحدهم إلى وسط الدائره ويقفز إلى أعلى على نغمات الصفيق المنظمه ، وأحسنهم من يستطيع أن يقفز بأعلى وثبه .

رقصة نوبّ



هى إحدى رقصاتهم وتكون على أنغام الدف والسمسميه وتشارك النساء فيها الرجال ، ويقف الرجال على شكل دائره وخلفهم النساء على نفس الشكل ، ثم تنزل إمرأه ورجل إلى داخل الحلقه ويكون رقص المرأه بضرب القدمين فى الأرض فى حركه متسقه مع الموسيقى والغناء وتضم يديها إلى صدرها مع حركة الرأس للخلف ، أما الرجل فيدب فى الأرض بقدميه ويقفز إلى أعلى مع صفقة اليدين ، ثم تنزل إمرأه أخرى ورجل إلى حلبة الرقص ، وعلى كل المدعوين المشاركه فى الرقص .

الرجل محارب دوماحتى فى رقصاته



لم يعرف بدو الصحراء الشرقيه الأسلحه الناريه طوال حياتهم داخل الصحراء وحتى الآن ، وبعد ما هدأت الحروب بين البجه وجيرانها أصبح السيف والدرع من الأشياء التى تورث من الجد للإبن بعد ما كان كل رجل له درعه وسيفه الخاص به .

وأصبح السيف والدرجه من أدوات الزينه التى يتحلى بها الرجل فى المناسبات المختلفه وخاصة الزواج والرقص ، والرقص لديهم كله حركات هجومية ودفاعية وهو نوع من التمجيد لبطولاتهم فى الزمن الحالى .

جبل حميثرة والشاذلى



مقام قطب الصوفية سيدى أبى الحسن الشاذلى والموجود بصحراء عيذاب بوادى حميثره ، وقد كان فى الماضى عباره عن مقصوره مبنية بالحجاره لا يتجاوز مساحتها عشرون متراً وبجوارها حجرتان مساحة كل منهما نحو ستة أمتار وأمام الضريح مساحة صغيرة لها سور وهى بمثابة مصلى ، وقد استمر الحال على ذلك فترة طويلة جداً حتى علمت وزارة الأوقاف بوجود مقام قطب الصوفية وموقعه فى مصر فقامت بإنشاء المسجد وبجواره استراحه صغيرة عام ١٩٦٦ .

ثم أهدت رئاسة الجمهورية مقصورة جديدة للضريح عليها إسم الإمام الشاذلى محفوره وسط الآيات القرآنية والنقوش البارزة وكلها مصنوعة من

أسلاك الفضه والذهب المبطن بالذهب ، مصنوعه باداره الكسوة الشريفه بالقاهرة عام ١٩٧٢ .

ثم قامت وزارة الأوقاف بتجديد الضريح وتوسعته وفرش المسجد والضريح بالسجاد الفاخر وتبطين المقصوره بالزجاج السميك سنة ١٩٧٩ ، كما تم وضع صندوق للنذور لأول مرة منذ إنشاء الضريح وفى الماضى كان يُلقى بأموال النذور على مقام الشاذلى وتم الاتفاق على أن يخصص حصيلة النذور لدعم فقراء المنطقه والعمل على رفع مستواهم وإقامة المشروعات النافعة لهم وذلك بين وزارة الأوقاف ومحافظة البحر الأحمر .

وملحق بالمسجد مدرسة أزهرية لتعليم أبناء البدو ، ومما هو جدير بالذكر أن الشيخ رضى الله عنه قد إصطحب معه غلام صغير ويعتبر أحد تلاميذه وقد توفى ودفن بجوار مقام الشيخ ويقال أن إسمه « طارق » ، وقبره على يسار المقام .

والطريق إلى سيدى أبى الحسن الشاذلى يبلغ طوله (١١٠) ك . م . وقد تم رصفه خلال عام ١٩٨٥ ، ويقابلك عند أول الطريق مقام الشيخ سالم ويقال بأنه خادم سيدى أبى الحسن وعلى الزوار زيارة سيدى سالم قبل الدخول إلى طريق الشيخ ، ومقامه على بعد ٤٠ ك ـ م من مرسى علم .

زوار المولد بين جبال حميثرة



يأتى الزوار والمريدين إلى وادى حميثره بصحراء عيذاب لزيارة مقام سيدى أبى الحسن الشاذلى فى مولده الموافق لوقفة عرفات المباركة وهو التاسع من ذى الحجة ويحضرون قبل المولد بحوالى عشرة أيام ، ويأتون فى سيارات نقل كبيره حاملين فيها إحتياجاتهم من المأكولات ومياه الشرب والذبائح ، ويحضر للمولد الشيوخ والأطفال والرجال والنساء ، وعند وصولهم بالسيارات لوادى حميثره لابد أن تلف السيارات سبع مرات أمام المقام وهم يعتبرون هذا نوع من إستئذان الولى قبل الإقامه فى حضرته .

ثم تختار كل أسرة مكاناً لتستقر به فترة المولد ، ويفترشون الحصير أمام السيارة التى جاءوا بها ويستظلون بسقيفه من الشمس ويوقدون أمامهم « الكانون » لطهى الطعام ويمارسون حياتهم العادية طوال فترة المولد ، وفى الليل يجتمعون لينشدوا المدائح النبوية . وهناك من الزوار من يمثلون الطرق الصوفية (الطريقه البرهانية ــ الرفاعية الأحمدية ــ الأدريسية) .

ويظل وادى حميثره طوال فترة المولد يموج بالحركة والضجيج والابتهالات .

ليلة المولد



فى ليلة التاسع من ذى الحجة فى ليلة عرفات يصعد الزوار والمريدين إلى قمة جبل حميثره ويحرصون على الوصول إلى قمة الجبل وهو المكان الذى كان يتعبد فيه الشاذلى ، ويظلوا طوال الليل على الجبل ، وخاصة الزوار الذين

جاءوا من أجل إستجابة دعائهم كالمريض والمرأه العاقر والبائره المعطله عن الزواج وكل من له حاجه عند الله ، والكل يدعو لشأنه .

ومع ظهور الشمس يهبطون من على الجبل بعد أن يكون كل منهم قد حمل فى منديله حفنة من تراب الجبل وذلك على سبيل التبرك به ، ويهدون هذا التراب لأقاربهم عند عودتهم لبلادهم وهذا يماثل إهداء ماء زمزم .

وهذا التراب يستعمله من كان به عله أو مرض فيضعه على مكان علته فيشفى ، أو من كان رزقه محدوداً يستعمله فيرشه أمام حانوته وبيته فيسهل له الرزق ويزيد ، وهذا اعتقاد الزوار ، وبعد نزولهم من على الجبل يشاركون فى الدوره

التابوت



مع شروق الشمس وظهورها فى السماء تكون « الدوره » وهى خروج الزوار والبدو وراء الجمل الذى يحمل التابوت « وهو صندوق من الخشب مغطى بالكسوة الجديده الخاصه بمقام سيدى أبى الحسن الشاذلى « والتى يشتريها أحد شيوخ العبابده أو أحد أثرياء الوجه القبلى أو مهداه من مشيخة الطرق الصوفية .

ويلف الجمل ومن خلفه الزوار حول جبل حميثره المواجه لمقام سيدى أبى الحسن الشاذلى سبعة مرات ويغنى الزوار قائلين « شاذلى يأبو الحسن كل زوارك عسل ، شاذلى يأبو الحسن جينالك بالرجا » .

بعدها يتجه الركب إلى مقام الشاذلى لخلع الكسوه القديمه ووضع الكسوه الجديدة وسط زغاريد النساء ، ويتهافت الزوار على خادم المقام وكل واحد يمنى نفسه بقطعة قماش من الكسوه القديمه للمقام ليتبارك بها .

(ملحوظه الصوره التى على يمين الصفحه توضح شكل التابوت والأخرى توضح مسيرة الدوره وهى تأخذ طريقها حول الجبل) .



نحر النذور



بعد الانتهاء من الدوره ، يبدأ الجميع (الزوار والبدو) فى النحر (ذبح النذور من الذبائح التى نذورها لله) ، وهذا عجل كبير إشتراه أحد شيوخ البدو ويسير وراء الجمل الكسوه الجديده لمقام الشاذلى ويلف حول جبل حميثره سبعة مرات ثم يذبح ويوزع على بدو العبابده المقيمين حول مقام الشاذلى (ملحوظه : الذبح هنا يتم فى يوم عرفات وليس فى أول أيام عيد الأضحى كما يقضى الشرع ، وذلك لأن يوم وقفة عرفات هو يوم ختام المولد) .

سباق الأبل



بعد الاحتفال بتغيير كسوة مقام الشاذلى ونحر الذبائح يخرج العبابده نساؤهم وشيوخهم وأطفالهم لزيارة مقام الشاذلى ثم يتجمع حشد كبير من البدو والزوار لمتابعة سباق الإبل الذى يقوم به شباب العبابده على ظهور الإبل وخاصة « الأصهب البشارى » وهذا النوع من الإبل سريع وقادر على الجرى لمسافات طويله ، تلك مناسبة سعيده يسعد بها البدو وزوار الشاذلى .

بعد ذلك يتزاور البدو ويهنئون بعضهم بالعيد (على الرغم من أن هذا يكون صباح وقفة عرفات) .

السيدة ذكية عبد المطلب بدوى



السيدة ذكية عبد المطلب بدوى سليلة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى السيدة التى أحبت الله وعاشت فى طاعته وأول سيدة تنزل وادى

حميثره وتعيش بجوار قطب الزمان سيدى أبى الحسن الشاذلى وانتقلت إلى رحمة الله ودفنت بجواره عام ١٩٨٢ ، فى مدفنها الخاص فى الساحة التى أقامتها بوادى حميثره ولها ساحه فى حى الطبلاوى بجوار سيدنا الحسين رضى الله عنه .

أولياء البدو



مقام « الشيخ حميد » وهو الجد الأكبر لقبيلة « الحميداب » أحد فروع قبيلة العبابده ، مولده فى شهر ربيع الأول ، يزوره العبابده وينحرون له الذبائح كنذور ، يتبركون به ، وفى مولده يجتمع العبابده والبشارية كمناسبة لمناقشة الخلافات التى تنشب بينهما ، وأيضاً يتم فيه الصلح بين المتخاصمين ، وعقد الاتفاقيات على التجارة أو الزواج .

وتقع منطقة أبرق جنوب منطقة الشيخ الشاذلى بحوالى مائة كـ . م .

ويوجد على بعد مائة وخمسين ك . م. من ابرق مقام الشيخ « عامر كربيل » فى منطقة « الفقع » وهو أحد شيوخ قبيلة البشارية ويعتبر الجد الأكبر لقبيلة الكربيلاب وينحرون له الذبائح بنية قضاء الحاجة .

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٣/١١٢٠٤

I.S.B.N 977-01-3616-6

● ● هناك فى جنوب صحراء مصر الشرقية ، حيث تعيش قبائل العبابدة والبشارية ، الذين أثبتت الدراسات انهم أقرب ما يكونون شبها بقدماء المصريين . يقع جبل عليه الساحر الذى يحتضن فى داخله واد خلاب تحده الجدران الصخرية من كل الاتجاهات ، فلا تترك منفذا لدخول هذه العلبة إلا من خلال بوابة طبيعية تفتح عليه من ناحية الشرق .. هناك حيث تكسو الثلوج قمم عليه الشاهقة طوال الشتاء ، وتكمن الحياة بين الصخور .. تتحرق شوقا إلى ذوبان الجليد .. وفى الربيع وحينما تنحدر المياه فوق الصخور .. تستيقظ آلهة الرعى والصيد .. فتكتسى الأرض بالخضرة .. وتتقافز الغزلان والنعام والأرانب .. وتكثر المراعى .

وتعزف الحياة سيمفونية العشق بين الإنسان والجبل

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٤٤٠ قرشا